جـــــــــامعـــــــــة بســـــــــكـــــــــرة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

دور البعد الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية

دراسة في تداعيات أحداث باريس جانفي 2015

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في العلوم السياسية

تخصص: علاقات دولية واستراتيجيه

إعداد الطالبة:

آمال تلي

إشراف الأستاذ:

د. عبد العظيم بن الصغير

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
عبد العظيم بن الصغير	دكتور	مشرفا مقررا

السنة الجامعة: 2015 / 2016

شكر وعرفان

أولا أحمد الله عز وجل الذي أصبغ علي نعمة إتمام هذه المذكرة

وأتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي المشرف: **الدكتور بن الصغير عبد العظيم**

الذي لم يبخل على بنصائحه وإرشاداته وتوجيهاته القيمة

كما أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

كما أشكر كل أساتذتي الذين رافقوني طيلة مشواري الدراسي

الذين سهروا وتعبوا ولم يدخروا جهدا من أجل تعليمي.

تلي آمال

فهرسة الموضوعات

مقدمة	أ – ز
الفصل الأول:البعد الثقافي في العلاقات الدولية المفهوم والنظريات	8– 42
المبحث الأول: ماهية الثقافة	10 – 19
المطلب الأول: مفهوم الثقافة	10 – 14
المطلب الثاني: الثقافةوارتباطها بالحضارة	14 – 16
المطلب الثالث: الثقافة وارتباطها بالهوية	16 – 19
المبحث الثاني: العامل الثقافي في العلاقات الدولية	20 – 26
المطلب الأول:بروز البعدالثقافي في العلاقات الدولية	20 – 23
المطلب الثاني: الثقافة كمنظور جديد لتفسير العلاقات الدولية	23 – 26
المبحث الثالث: النظريات المفسرة للبعد الثقافي في العلاقات الدولية	27 – 42
المطلب الأول: التفسير البنائي للعامل الثقافي في العلاقات الدولية	27 – 31
المطلب الثاني: صراع الحضارات كمدخل تفسيري في العلاقات الدولية	31 – 37
المطلب الثالث: حوار الحضارات كرؤية جديدة لتفسير العلاقات الدولية	37 – 42
الفصل الثاني: العلاقات الأوروبية العربية في ظل المتغيرات الثقافية	44 – 87
المبحث الأول: التطور التاريخي للعلاقات الأوروبية العربية	45 – 56
المطلب الأول: العلاقات الأوروبيةخلال الحرب الباردة	45 – 51
المطلب الثاني: العلاقات الأوروبية العربية بعد الحرب الباردة	51 – 56
المبحث الثاني: عناصر الصراع الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية	57 – 72
المطلب الأول: البعد الهوياتي في العلاقات الأوروبية العربية	57 – 61
المطلب الثاني: البعد الديني في العلاقات الأوروبية العربية	61 – 68
المطلب الثالث: البعد الحضاري في العلاقات الأوروبيةالعربية	68 – 72
المبحث الثالث: عناصر التوافق في العلاقات الأوروبية العربية	73 – 87

المطلب الأول: محددات التعاون الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية	73 – 78
المطلب الثاني: آليات التعاون الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية	78 – 81
المطلب الثالث: أهداف التقارب الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية	81 – 87
الفصل الثالث: تأثير أحداث شارلي إيبدو على العلاقات الأوروبية العربية	89 – 115
المبحث الأول: العلاقات الأوروبية العربية إثر أحداث 11 سبتمبر	90 – 98
المطلب الأول: أحداث 11 ستمبر وأطروحة صدام الحضارات	90 – 94
المطلب الثاني: العلاقات الأوروبية العربية في ظل حوار الثقافات	94 – 98
المبحث الثاني: الرؤية الأوروبية بعد أحداث شارلي إيبدو	99 – 107
المطلب الأول: طبيعة هجمات باريس جانفي 2015	99 – 103
المطلب الثاني: آثار هجمات باريس جانفي 2015	104 – 107
المبحث الثالث: انعكاسات هجمات شارلي إيبدو على العلاقات الأوروبية العربية	108 – 115
المطلب الأول: تأثير هجمات باريس على فرنسا والإتحاد الأوروبي	108 – 111
المطلب الثاني: تأثير هجوم شارلي إيبدو على الدول العربية	111 – 115
الخاتمة	ك – ح

شهد عالم اليوم تحولات عميقة سياسية واقتصادية وثقافية أدت إلى إعادة النظر في العديد من القناعات، فتوالي الأحداث وشمولها لكل الأنشطة والمظاهر الدولية تجعلنا أمام مشهد صراعي خاص، ليس من السهل إدراجه ضمن نسق تفسيري قائم، ولا يمكن توقع مآلاته ولا نتائجه. إذ أن أغلب الأزمات والصراعات المعاصرة لها من الأسباب ما لا يمكن احتواءه عبر مفاهيم الأمن التقليدية التي تكفل الأمن بين الدول.

حيث أن الحدود فيما بين الدول تلاشت ولم تعد قادرة على أن تكفل الحماية من التهديدات التي أصبحت متداخلة، والاضطرابات المحددة في الصراعات العرقية والدينية ذات الأبعاد الثقافية والحضارية طغت على عالم ما بعد الحرب الباردة، والتغييرات الجذرية التي مست النظام العالمي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر صار من الضرورة بمكان التركيز على العامل الثقافي الذي اعتبره العديد من المفكرين المدخل الجديد لفهم عالم اليوم.

وقد انتقل الاهتمام بالظاهرة الثقافية والحضارية بأبعادها المختلفة (الصراعات القومية، الهوية، الأصولية المتطرفة القائمة على الخصوصية الدينية ...)، والتي صارت اليوم مصدر التهديدات داخليا وخارجيا، والتي فجرت العديد من الأزمات في عدة مناطق من العالم. هذا الطرح الجديد لمصادر التهديد والصراع قوض المقاربة الواقعية التي هيمنت على الحقل التنظيري في العلاقات الدولية لمدة طويلة، وهو ما فتح الباب أمام ظهور طروحات أخرى لتفسير هذه الظواهر، وكانت البنائية أول الطروحات التي استطاعت أن تجد لها مكانا في حقل التنظير. فعقب تفكك الاتحاد السوفياتي إلى دويلات متعددة الاثنيات، وبرزت إلى السطح مفاهيم ومصطلحات لطالما كانت مهمشة ومغيبة عن الساحة التنظيرية حيث ظهرت معطيات جديدة منها: تحول الصراعات من دولية إلى داخلية، ظهور الصراعات الهوياتية والإثنية والثقافة القائمة على أبعاد معيارية، بروز قضايا الأخلاق والدين.

ظلت العوامل الثقافية مهملة في دراسة العلاقات الدولية لفترة طويلة، على رغم أن الثقافة تلعب أربعة ادوار مهمة على الأقل في تلك العلاقات:

١ -تحدد الثقافة صورة العالم لدى القوى الفاعلة في النظام الدولي ومن ثم تؤثر في إدراكها للأحداث وفي أحكامها الأخلاقية، الجمالية والذوقية.

٢ -تمثل الثقافة مصدرا مهما للدوافع؛ والتي لا تنبع فقط من داخل الفرد وشخصيته، بل أيضا من علاقته بمن حوله والقيم الثقافية في مجتمعه.

٣ -تلعب الثقافة دورا مهما في تحديد هوية الفرد والجماعة، وتمييز الجماعة من غيرها من الجماعات على أسس القرابة أو العرق أو الدين أو اللغة أو الأرض وغيرها. فالثقافة تحدد من "نحن" ومن "هم" فهي الأساس الذي تقوم عليه الإيديولوجيات القومية، بما في تلك التي قادت إلى حروب كبرى عبر التاريخ.

٤ -يرتبط بالدور السابق اثر الثقافة في تقسيم الناس. سواء على أساس العرق أو الطبقة أو المكانة أو الجنس أو غيرها، ويتضح هذا الأثر على مستوى العالم في تقسيمه إلى شرق غرب، والى شمال جنوب. فهذه التقسيمات ليست جغرافية بل ثقافية، على رغم التسليم بدور العوامل الاقتصادية والتكنولوجية فيه. وتقوم نظرية صراع الحضارات على تقسيم العالم على أسس ثقافية.

إذن تؤثر العوامل الثقافية في جوانب العلاقات الدولية كافة؛ ففي حقل الاقتصاد السياسي مثلا يمكن دراسة اثر العوامل الثقافية في تحديد أنماط الإنتاج والاستهلاك وأخلاق العمل. وفي حقل الأمن الدولي، قد تساعدنا دراسة العوامل الثقافية في اختبار نظرية صراع الحضارات والاستخدامات المعاصرة لسلاح الاستشهاد كأداة لتحقيق أغراض سياسية.

أهمية الدراسة: لعل دراسة دور العوامل الثقافية في تشكيل هويات الدول والجماعات وصياغة الأعراف والمبادئ التي تنظم العلاقات الدولية تستحق اهتماما خاصا من جانب علماء العلاقات الدولية. ولهذا تهتم المدرسة البنائية في هذا الحقل بدراسة هذا الدور، وتتميز بنظرتها إلى الهويات والأعراف والمبادئ باعتبارها غير ثابتة أو معطاة للفاعلين الدوليين بل أنهم دائما يعيدون تشكيلها. ويرى البنائيون أن الهويات والأعراف والمبادئ تلعب أدوارا حاسمة في تعريف الدول لمصالحها الوطنية، وهذا ما يدفعها لتبني سياسة معينة في قضايا محددة كما يساهم تعريف الجماعة لهويتها في تحديد مصادر التهديد الذي تتعرض له، وحلفائها المحتملين في مواجهة هذا التهديد.وبهذا أضحى من الضروري الاهتمام لهذا الجانب لمعرفة كيف تؤثر الثقافة على العلاقات الدولية بشكل عام والصراعات بشكل خاص.

إشكالية الدراسة:

تعمل هذه الدراسة على إيضاح القدرة التفسيرية للبعد الثقافي للظواهر الصراعية هذا الواقع يلقي على الباحثين والمهتمين تجعل العلاقات الدولية توجيه جهدهم العلمي نحو تقصي مختلف الأبعاد التي تفسر الظواهر الصراعية ومنها البعد الثقافي وهذا ما يقودنا لطرح الإشكال التالي:

ما مدى تأثير البعد الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية من خلال خلفيات وتداعيات احداث شارلي ايبدو بفرنسا 2015؟

الاسئلة الفرعية:

١ -ما هي مكانة البعد الثقافي في العلاقات الدولية؟

٢ -كيف أسهم البعد الثقافي في تفسير الصراع بعد الحرب الباردة؟

٣ -ما العلاقة بين البعد الثقافي وبين حوار الثقافات الذي يديره الاتحاد الأوروبي؟

٤ -ما هي النتائج التي ترتبت عن أحداث باريس جانفي 2015؟

فروض الدراسة:

- يبرز دور العامل الثقافي أكثر نظرا لتراجع دور الدولة كفاعل وحيد في العلاقات الدولية في مقابل بروز فواعل أخرى.
- الثقافة والأفكار أكثر قدرة من المصالح المادية على تفسير وفهم العلاقات الدولية.
- عكست أحداث شارلي إيبدو خلفية الصراع الثقافي والحضاري في العلاقات الأوروبية العربية.

هدف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق ما يلي: إدراك التحولات والتعقيد الذي طرأ على العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة جراء صعود النزاعات الثقافية، وإعادة النظر فيما اعتبر لفترة طويلة الوحدة الأساسية للتحليل من جراء العولمة. إذ يفضي بالنظر إلى انتشار اللاعبين من غير الدول واهم اللاعبين الجماعات الإرهابية ودورها في المجال الدولي من خلال دراسة أحداث باريس جانفي 2015.

أسباب اختيار الموضوع:

-الأسباب الموضوعية: لم تشهد الفوارق الثقافية والاختلافات الحضارية مثل تلك الأهمية التي تشهدها الآن حيث أن مسائل الثقافة والهوية والدين أصبح لها تأثير ودور في تحريك جماعات ومجتمعات عدة في عالمنا المعاصر، وتضع ديناميكيات جديدة في الصراعات الجارية فيه وعدم الأخذ بها وعدم التطرق إليها يجعل من تحليل وتفسير موضوعات أو قضايا في العلاقات الدولية تحليلا ناقصا.

-الأسباب الذاتية: إن اختياري للموضوع نابع من ميولي الشخصية لتخصص العلاقات الدولية ونظرا للأهمية التي يكتسيها البعد الثقافي في العلاقات الدولية وتزايد الحديث عن تأثيره في العلاقات الأوروبية العربية

وبالنظر إلى انتماءاتي العربية حرك لدي الفضول للتعرف على مسار هذه العلاقات في ظل تأثير العوامل الثقافية والحضارية.

الدراسات السابقة: لقد تعددت الكتابات التي تناولت موضوع الدراسة بتعدد خلفياتها ورغم أنها اتخذت عدة تسميات إلا أنها بقيت تصب في نفس القالب وسعت إلى إبراز دور العامل الثقافي الحضاري في العلاقات الدولية وقد اطلعت على بعضها ومن بين هذه الدراسات:

- **مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام** وهي عبارة عن سلسة أطروحات الدكتوراه جمعها الدكتور **محمد سعدي** ، صادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية سنة 2006.و تمثلت في محاولة التحليل النظري لمستقبل العلاقات الدولية في ضوء أطروحة "صدام الحضارات" التي تعتبر إحدى أكثر الأطروحات التنظيرية الجديدة إثارة للجدل والنقاش في فترة ما بعد الحرب الباردة. واقتراح ضرورة توفير الشروط المناسبة والآليات اللازمة لإرساء ثقافة السلام للحيلولة دون سقوط الإنسانية في نزيد من العنف والتعصب.

- **البعد الثقافي في السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي تجاه منطقة المغرب العربي بعد الحرب الباردة** وقد حاولت الطالبة "فاطمة حموتة" وهي عبارة عن رسالة ماجستير في العلوم السياسية.من خلال دراستها رصد واقع الأداء الثقافي للاتحاد الأوروبي في ظل عملية التكتلات الإقليمية التي ميزت فترة ما بعد الحرب الباردة داخليا وماله من دور في تماسك هويته الثقافية خارجيا.

وما يلاحظ على هته الدراسات أنها تناولت الموضوع من جانب واحد، أو وجهة نظر معينة ففي الدراسة الأولى ركز الدارس على أطروحة صدام الحضارات مهملا لضرورة الحوار، أما في الدراسة الثانية فقد رصدت الطالبة البعد الثقافي من جهة الاتحاد الأوروبي وتجاه منطقة واحدة في العالم العربي.

وسنحاول في دراستنا الإلمام بكلى الجانبين فكرتي الصراع والحوار وكذا التوسع لنشمل كافة العالم العربي في علاقته بالاتحاد الأوروبي.

حدود الدراسة: تبدأ الدراسة منذ نهاية الحرب الباردة والى يومنا هذا.

المنهج المتبع: سوف يتم الاعتماد على **المنهج التحليلي التركيبي** ولأننا بصدد دراسة ظاهرة تتحكم في مسار دراسة العلاقات الدولية ألا وهي البعد الثقافي وتأثيره في الصراعات المعاصرة ومن ثم الانتقال إلى تفسير العلاقات الأوروبية العربية. بالإضافة إلى **المنهج الديالكتيكي** لإبراز أوجه الإيجاب والسلب بين فكرة الصدام الحضاري الذي دعا له الغرب، وفكرة الحوار الحضاري الذي هو بصدد التأسيس. والذي يعتمد على الأطروحة ونقيضها بمعنى الحوار نقيض الصدام والصراع.

المقتربات: المقترب النسقي بالإضافة إلى مقترب التعددية الثقافية

تقسيم الدراسة: لقد تم اعتماد التسلسل المنطقي في تقسيم الخطة، وذلك بالانتقال من الكل إلى الجزء وكذا بحسب الأهمية مع مراعاة التوازن في التقسيم. فقد جاء التقسيم كالآتي:

الفصل الأول خصص للضبط المفاهيمي والنظري، وقد قسم إلى ثلاث مباحث. المبحث الأول خصص للمفاهيم المتعلقة بالدراسة، في المبحث الثاني تم التعرف على البعد الثقافي في العلاقات الدولية، أما المبحث الأخير فقد تناول النظريات التي فسرت العامل الثقافي في العلاقات الدولية.

أما الفصل الثاني تم التعرف فيه على العلاقات الأوروبية العربية في ظل المتغيرات الثقافية وقد قسم كذلك إلى ثلاث مباحث، في الأول تم التطرق إلى جذور العلاقات الأوروبية العربية ، في المبحث الثاني تم التعرف على عناصر الصراع في العلاقات الأوروبية العربية، وفي الثالث تم الإلمام بمحددات التعاون الثقافي الأوروبي العربي.

في حين تناول الفصل الأخير تأثير أحداث شارلي إيبدو على العلاقات الأوروبية العربية، وقد حوى ثلاث مباحث كذلك، الأول تم تخصيصه للتعرف على الرؤية الأوربية في ظل طبيعة الأوضاع الدولية السائدة وفي المبحث الثاني تم تناول طبيعة أحداث شارلي إيبدو ودورها في بلورة الرؤية الأوروبية، أما المبحث الأخير فقد تناولنا فيه انعكاسات الهجمات على العلاقات العربية الأوروبية.

صعوبات الدراسة:

ككل الباحثين العرب في المجال في العلاقات الدولية ومجال الصراعات، فإن الأدبيات المتعلقة به قليلة الأمر الذي يتطلب اللجوء إلى المراجع الأجنبية وهو ما يتطلب الكثير للوصول إليها ووقتا لنقلها إلى العربية. في ظل صعوبة ترجمتها وإن ترجمت يبقى يكتنفها بعض الغموض لعدم الدقة وضبطها بالشكل العلمي إضافة إلى ضيق الوقت المخصص للبحث.

عرفت فترة ما بعد الحرب الباردة عدة تغييرات مست مختلف المجالات على مستوى النظام الدولي على مستوى الفواعل، توازن القوى، المنظورات، المفاهيم. حيث تغيرت التهديدات، مصادرها، سبل مواجهتها كما تراجع دور الدولة القومية كفاعل وحيد في العلاقات الدولية في مقابل بروز عدة فواعل ما فوق وما تحت الدولة.

هذه الفواعل التي أصبحت تعادل الدولة من حيث التأثير في العلاقات الدولية من بينها المنظمات الجماعات، الأفراد، الشركات العابرة للقارات... الخ، وقد أصبح تقسيم العالم على أساس هوياتي، ديني، حضاري، ثقافي في مقابل تراجع العامل الايديولوجي الذي ساد لفترة من الزمن.وهذا ما استدعى ضرورة البحث في هذه المفاهيم ومحاولة إعطاء تفسيرات لها، ولكيفية تأثيرها في العلاقات الدولية.

ولهذا لابد من ضبط هذه المفاهيم وإبراز دورها وإعطاء التفسير النظري لها وذلك من خلال ثلاث مباحث كما في التقسيم التالي:

- المبحث الأول:ماهية الثقافة
- المبحث الثاني العامل الثقافي في العلاقات الدولية
- المبحث الثالث: النظريات المفسرة للبعد الثقافي في العلاقات الدولية

المبحث الأول: ماهية الثقافة

يعتبر مفهوم الثقافة من المفاهيم المتغيرة والمعقدة التي أصبحت تؤثر وتتأثر بعدة مجالات ومنها العلاقات الدولية، والتي أصبحت تعتبر أحد محددات التفاعلات الدولية داخلها. و منه فإن هذا المبحث يحاول التعرف على هذا المفهوم والمفاهيم ذات الصلة.

المطلب الأول: مفهوم الثقافة

يعد مفهوم الثقافة من بين أكثر المفاهيم تعقيدا مما جعل العلماء محل خلاف في تحديد هذا المفهوم أو طبيعته أو مكوناته. فمنهم من اعتبره مرادفا لمفهوم الحضارة ومنهم من اعتبره مختلفا عنه ومنهم من استخدمه لوصف سلوك طبقة اجتماعية معينة. ولهذا نجد العديد من التعريفات التي تناولت مفهوم الثقافة كما أن الثقافات البشرية قد عرفت هجرة المفاهيم من ثقافة إلى أخرى، ومن ميدان معرفي إلى آخر. ومفهوم الثقافة من بين المفاهيم المهاجرة، ولا يمكن لأي باحث الإلمام بجميع التعريفات الموضوعة للثقافة، فقد أورد (Kroeber, Kluckhohn) في كتابهما الموسوعي: " الثقافة: عرض نقدي للمفاهيم والتعريفات" الذي صدر سنة 1952 ما لا يقل عن 164 تعريفا للثقافة، تراوحت بين السلوك المتعلم والمعرفة المتحصلة من احتكاك الفرد مع المحيط والقيم الواقعية أو المثالية التي يحملها فرد أو جماعة ما. هذا التعدد يدفعنا إلى ضرورة استعراض بعض التعريفات والمحطات التي مر بها هذا المفهوم.

١ – **تأصيل المفهوم:** تعود جذور كلمة (culture) إلى لفظين لاتينيين هما (cultura) التي تعني حرث الأرض وزراعتها، ولفظ (colere) الذي يحمل مجموعة من المعاني كالسكن والتهذيب والحماية والتقدير

إلى درجة العبادة. [1] واستخدمت مجازا مع الحكيم اليوناني شيشرون (106-43 ق.م) كغاية للفلسفة تعمل على تثقيف الذهن وزراعة العقل وتنميته (cultura animi). [2]

وقد احتفظت الكلمة بهذه المعاني العملية في القرون الوسطى حيث أطلقت في فرنسا على الطقوس الدينية ورعاية الحيوان والنبات والعناية بالنمو الطبيعي. وفي عصر النهضة اقتصر مفهوم (culture) على مدلوله الفني والأدبي الذي تمثل في دراسات تتناول التربية والإبداع، غير أنه حافظ على الدلالات المشتقة منه كتنمية العقل وغرسه بالذوق وتزيينه بالمعرفة عند فولتير، أو العمل الذي يبذله الإنسان لغاية تطويرية سواء كانت مادية أو معنوية مع توماس هوبز. إلا أن سنة 1971 شكلت محطة حاسمة في تاريخ المفهوم مع الانثروبولوجي البريطاني إدوارد تايلور في كتابه "الثقافة البدائية" عندما عرفها باعتبارها:

« ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع » [3]

هذا التعريف الشامل سيتحول إلى تعريف مرجعي لكل المختصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

بانتقال مفهوم (culture) إلى (kulture) الألماني خلال القرن الثامن عشر ستكتسب الكلمة ثلاث دلالات: الأولى الحالة الاجتماعية المعارضة لحال بربرية الشعوب الهمجية، بما دل عليها تطور استخدام الأدوات والرفاه المادي والتنظيم السوسيولوجي، والثانية تحرر العقل الحديث من ظلمات الماضي وآرائه الاعتباطية (التنوير)، أما الثالثة فتهذيب العوائد وتشذيب الشمائل.

[1] ريموند وليامز، الكلمات المفاتيح، تر: نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي، 2007، ص94.
٢ معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، عدد 115، 1975، ص 29.
[3] ريموند وليامز، المرجع السابق. ص 94.

إلا أنه ابتداء من خمسينيات القرن الماضي ستظهر تعريفات أخرى ما بعد حداثية للثقافة أحدثت قطيعة مع الفكرة الأنثروبولوجية ككل مركب عند "تايلور" وخاصة مع إليوت، ريتشاردز، وليفيز، ورايموند وليامز، ومدرسة فرانكفورت مع أدورنو وهورهايمر وغيرهم.[١]

٢ – **المفهوم في اللغة العربية:** (culture) كمقابل للفظ العربي "ثقافة"، تشتق الثقافة في قواميس اللغة العربية من لفظ "ثقف" التي تعني سرعة التعلم، فثقفت الشيء أي حذقته وظفرت به، ورجل ثقف حاذق فهم فطن.[٢] كما يشير اللفظ أيضا إلى الآلة التي يقوم بها اعوجاج الرماح والسيوف، فتثقيف الرماح تسويتها والثقاف حديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج.

إلا أن الثقافة حسب تعريف عبد الوهاب الكيالي (الموسوعة السياسية) هي: «**ذلك الارث الاجتماعي ومحصلة النشاط المعنوي والمادي للمجتمع، إذ يتكون من حصيلة النتاج الذهني والروحي والفكري والفني والأدبي والقيمي الذي يتجلى في الرموز والأفكار والمفهومات والنظم وسلم القيم والحس الجمالي، في حين يتكون الشق الثاني من مجمل النتاج الاقتصادي والتقني (الأدوات والآلات) والبيوت وأماكن العمل والسلاح، أما الإطار الاجتماعي الذي يتعمق من خلاله هذا الإرث المستمر والمتطور من جيل إلى آخر فنعني به تلك المؤسسات والطقوس وأنماط التنظيم الاجتماعي الآخر**».[٣]

في حين يشترك العديد من العلماء العرب وتأثروا بما ذهب إليه تايلور خاصة في توأمته لمفهومي الثقافة والحضارة ومنهم تعريف مالك بن نبي إذ يقول: «**الثقافة بما تتضمنه من فكرة دينية نظمت الملحمة الإنسانية في جميع أدوارها من لدن آدم– لا يسوغ أن تعتبر علما يتعلمه الإنسان بل هي محيط يحيط به**

١ محمد الشيخ، «في استشكال الصلة بين مفهومي "الثقافة"و"الحضارة": مدخل مفاهيمي إلى النقاشات الدائرة اليوم حول المفهومين»، مجلة التسامح، عدد 27، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، صيف 2009، ص137.

٢ابن منظور، لسان العرب، ج 6، دار المعارف، [د،م،ن]، [د،ت،ن]، ص ص 492،493.

٣ الموسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي ج2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر .1981

وإطار يتحرك داخله، يغذي الحضارة في أحشائه فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر وتتشكل فيه كل جزيئة من جزيئاته تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه».[1]

في هذا التعريف ينفي بن نبي أن تكون الثقافة علما بقدر ما هي عملية اكتساب ويركز على المكون الديني الذي اعتبره الأساس الذي تقوم عليه الثقافة. وهو بذلك يبرز بشكل واضح أهمية العقيدة ودور الدين في صنع الثقافة وتوجيه سلوك الإنسان أولا وأهمية هذا المكون في تكوين الثقافة ثانيا.

قد أعلنت الأمم المتحدة في ندوتها المقامة لمناقشة الحقوق الثقافية من حيث هي حقوق إنسانية: 1970 إلى أن الثقافة تعني دائما كل الحقوق التي تمكن الإنسان من أن يأخذ حجمه الكامل، وقد قدم أحد المشاركين، و هو من أمريكا اللاتينيۃ رأيا بقوله: يمكن أن نضيف إلى معنى الثقافة أنها أي جهد إنساني يعطي الإنسان شعورا بالكرامة، فرد آخر أن لكل شعب حضارته مقهورا كان أم قويا غير أنه يمكن أن يعاني من غزو ثقافي أو يتبنى ثقافة القوي.

قد انتهت الندوة إلى تعريفات شتى خلاصتها: « إن ثقافة أي شعب هي طريقته الخاصة في الحياة وموقفه منها، و آراؤه فيها، و فلسفته تجاه مشاكلها، ثم تصوره لوضعه في الحياة.»

سبب تعدد التعريفات للثقافة جاء إعلان مكسيكو لغرض تحديد معنى الثقافة في إطار عام و واسع كالآتي« إن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها جميع السمات الروحية و المادية والفكرية و العاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، و هي تشمل الفنون و الآداب و طرق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان و نظم القيم و التقاليد المعتقدات.»[2]

[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط 15، دمشق: دار الفكر، 2011، ص 25.

[2] برهان غليون، اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1990 .ص ص 68-94.

من كل ما سبق يمكن القول بأن الثقافة هي إنتاج المجتمع بكل ما فيه من تنوع وتناقض وتغير وثبات، وبكل ما هو عليه من أفكار وتجارب متحققة وغير متحققة ماضيا وحاضرا ومستقبلا. فهي نتاج الخبرات الإنسانية المادية وغير المادية التي اكتسبها الإنسان من خلال التفاعل الذي تم بينه وبين البيئة. والثقافة بمفهومها العام هي ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير العمل وأنماط السلوك. بحيث تصوغ شخصية الفرد وتشكل هوية الأمة؛ هي هوية الشعوب وتراثها وأعظم مقوماتها، تعتبر الثقافة بمفهومها الشامل الإطار لطبقة الحياة الاجتماعية إذ يعتبر الدين هو العنصر الجوهري للثقافات وهو المكون الأساسي لهوية الشعوب.

المطلب الثاني: الثقافة وارتباطها بالحضارة

في محاولة لمعرفة العلاقة بين الثقافة و الحضارة علينا التعرف على مفهوم الحضارة. و هذا سيعطي دفعا لمعرفة أعمق بقضايا و أحداث دولية ذات طابع ثقافي.

على الرغم من وجود خلط بين الثقافة و الحضارة إلا أن بعض العلماء المحدثين اجتهدوا في توضيح الفروق بينهم. و الحضارة بصورة عامة هي نتائج الإقامة في المناطق الحضارية و ما يتبع ذلك من مظاهر الرقي العلمي و الأدبي و هو ما يؤكده ابن خلدون الذي كان يستخدم الكلمة، و هناك تعريفات عدة تناولت هذا المفهوم منها: موسوعة السياسة « إنها مجموعة المنجزات الفكرية الاجتماعية و الأخلاقية والصناعية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته نحو الرقي و التقدم»[1]

لقد عرفت موسوعة World book Encyclopédie الحضارة على أنها « مصطلح يستخدمه الاجتماعيون في التعبير عن الحياة لشعب ما، بحيث أنها تنقسم إلى الأفكار و الأشياء و طرق تحديد الأهداف التي تضعها الجماعة لنفسها، و من ثمة فإنها تتضمن اللغة و الفن و العقيدة و العرف و التقاليد

[1] موسوعة السياسة ،عبد الوهاب الكيالي. مرجع سابق. ص 549.

والمخترعات التكنولوجية، و هي تتركب من طرق مكتسبة التصرف و التفكير أكثر منها طرق بيولوجية مفروضة على الإنسان لا دخل له فيها».[1]

في هذا التعريف تم الجمع بين البعدين المادي و المعنوي، و قد تم إهمال بعد آخر ارتبط بالحضارة و نال قدرا كبيرا من اهتمام فلاسفة الحضارة و هو البعد الديني إذ أن الكثير منهم يعتبر أنه البعد الأصيل الذي تقوم عليه الحضارات. و من بينهم " أرنولد توينبي" الذي يفسر تواجد و تعاقب الحضارات عن طريق الدين. و قد بدأت التفرقة بين مصطلحي الحضارة و الثقافة في ألمانيا، إذ قال "طوماس مان" «الثقافة هي الروح الحقيقية، بينما الحضارة هي الآلية ». وذهب العالم الألماني الفريد فيبر «إلى أن الحياة الروحية والأخلاقية التي تسود المجتمع، أي أن الثقافة تعبر عن المظهر الروحي للمجتمع بينما تعبر الحضارة على مظاهر التقدم التكنولوجي»

و فيما يتعلق بمصطلح الحضارة في الدراسات السوسيولوجية يرصد الباحث فؤاد السعيد العديد من الاتجاهات.

- الاتجاه الأول يرى: أن " الثقافة و الحضارة" مصطلحان يعنيان الشيء نفسه و من هنا استمر استخدام مصطلح Civilization للدلالة على الحضارة و الثقافة معا دون تمييز.
- الاتجاه الثاني يرى: أن الحضارة تقتصر على الشق المادي فقط من الثقافة و هو ما تجده لدى ماكيفر و آدم.
- الاتجاه الثالث (و هو الاتجاه الراهن في الغرب) يجعل الثقافة جزءا من الكيان الكلي (المعنوي والمادي) و هو الحضارة[1]

[1] فضل الله محمد إسماعيل، خليفة عبد الرحمان، في الايديولوجيا و الحضارة و العولمة،[د،م،ن]،[د،د،ن] ،[د،ت،ن]. ص 137.

و بالرجوع لدراسات الفلسفية يؤكد الباحث أن التناول الغربي المبكر لمصطلح الحضارة قد ارتبط بالمفهوم المبكر لفكرة المواطن و المواطنة للمدنية في اليونان القديمة في حين أن مفهوم الثقافة قد ارتبط بمفهوم «حرث العقل و تهذيبه».

بذلك تتخذ العلاقة بين الثقافة و الحضارة صورا مختلفة على اعتبار التكوين المادي للحضارة على عكس التكوين القيمي للثقافة فمنهم من يجعل الحضارة المرحلة الأعلى من مراحل تكوين الثقافة و تأتي الثقافة كخطوة سابقة على تكوين الحضارة و بحيث تعرف الثقافة الوعي بلغة، أصل، إثنية، تاريخ، دين، عادات مؤسسات و الانتماء لأرض واحدة و عرف هنتنغتون الحضارة "**بأنها تجمع ثقافي و أوسع مستوى للهوية الثقافية و لا يتبعها إلا ما يميز عن الأنواع الأخرى و هي تحدد بنوعين من العناصر في آن واحد أحدهما يسميه «العناصر الموضوعية» مثل اللغة و الدين و التاريخ و العادات و المؤسسات و العنصر الثاني هو «التحديد الذاتي » الذي يقوم به الشعب بنفسه**".[٢]

و مما سبق فإن الحضارة لا تقوم من دون أساس ثقافي فهنا ارتباط وثيق بين الثقافة و الحضارة و نظرا لهذا الترابط و الذي قد يصل إلى حد تجاهل بعض الاختلافات بين المفهومين فإن دراستنا هذه ستعتبر كل منهما يصب في نفس المعنى على اعتبار أن الحضارة هي مجموع الثقافات التي تمثل أوسع أشكال الهوية و هي قد تتجاوز الحدود الوطنية و حدود الدولة على السواء.

المطلب الثالث: الثقافة و علاقتها بالهوية:

إن مسألة الهوية توحي للوهلة الأولى إلى المسألة الأوسع و هي مسألة الهوية الاجتماعية التي تعد الهوية إحدى مكوناتها، إذا لا يمكننا التطرق إلى مفهوم الهوية إلا إذا حددنا بعدها الاجتماعي. و عليه تعتبر

[١] زكي الميلاد، http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2009/6/27

[٢] أماني محمود غانم، «البعد الثقافي في العلاقات الدولية – دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات»، برنامج الدراسات الحضارية و حوار الثقافات – كلية الاقتصاد و العلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2007. ص 100.

الهوية الاجتماعية « محصلة مختلف التفاعلات المتبادلة بين الفرد مع محيطه الاجتماعي القريب و البعيد و الهوية الاجتماعية للفرد تتميز بمجموع انتماءاته في المنظومة الاجتماعيةة؛ كالانتماء إلى طبقة جنسية أو عمرية أو اجتماعية أو مفاهمية...إلخ و هي تتيح للفرد التعرف على نفسه في المنظومة الاجتماعية و تمكن المجتمع من التعرف عليه».

لكن الهوية الاجتماعية لا ترتبط بالأفراد فحسب، فكل جماعة تتمتع بهوية تتعلق بتعريفها الاجتماعي و هو تعريف يسمح بتحديد موقعها في المجموع الاجتماعي و منه فالهوية الاجتماعية هي احتواء و إبعاد في الوقت نفسه: إنها تحدد هوية المجموعة (المجموعة تضم أعضاء متشابهين فيما بينهم بشكل من الأشكال) في هذا المنظور تبرز الهوية الثقافية باعتبارها صيغة تحديد فئوي للتمييز بين نحن و هم و هو تمييز قائم على الاختلاف الثقافي.[1]

في كتاب تلخيص ما بعد الطبيعة يقول فيلسوفنا الكريم ابن رشد « أن الهوية تقال بالترادف للمعنى الذي يطلق على اسم الموجود وهي مشتقة من الهو كما تشتق الإنسانية من الإنسان ». و هو بهذا يعود بنا إلى مفهوم الهوية أو الذاتية في منطق أرسطو باعتبارها تماثل الشيء مع ذاته. و لهذا نرى في التعريفات للجرجاني «أن الهوية هي الأمر المتعلق من حيث امتيازه عن الأغيار » و الامتياز هنا بمعنى الخصوصية والاختلاف لا بمعنى التفاضل، ولعلا ابن خلدون قد استطاع أن يبرز هذا المعنى أكثر وضوحا بقوله في المقدمة «لكل شيء طبيعة تخصه» و على هذا فانتفاء خصوصية الشيء هو انتفاء لوجوده و نفيه.

أما الهوية فلغويا هي مأخوذة من "هو..هو" بمعنى أنها جوهر الشيء، و حقيقته لذا نجد أن الجرجاني في كتابه الذائع الصيت " التعريفات " يقول عنها: بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة

[1] دوني كوكش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: قاسم المقداد، دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، 2002 . ص ص 22-24

على الشجرة في الغيب [1]. و من ناحية الدلالة اللغوية هي كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه و مميزاته التي يعرف بها. والهوية بهذا المعنى هي اسم الكيان أو الوجود على حاله، أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات و مواصفات و خصائص معينة تمكن من إدراك صاحب الهوية بعينه دون اشتباه مع أمثاله من الأشباه، و المسألة في هذه القضية تتعلق بنوعية تلك الصفات و المقومات و الخصائص[2].

فهوية الإنسان... أو الثقافة... أو الحضارة، هي جوهرها و حقيقتها، و لما كان في كل شيء من الأشياء –إنسانا أو ثقافة أو حضارة– الثوابت و المتغيرات... فان هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد، لا تتغير تتجلى و تفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة. إن هوية أية أمة أو مجتمع هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية.[3]

والهوية دائما تجمع ثلاث عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به والتراث الثقافي الطويل المدى. و اللغة التي تلين الدين، كعامل يميز ثقافة شعب ما عن ثقافة شعب أخرى، ثم يأتي التاريخ و عناصر الثقافة المختلفة في صنع الهوية.

و أهم عناصر الهوية، الدين حيث في الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر و تصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة، وغالبا ما تحدد هذه الهوية بالدين.[4]

---

[1] الشريف الجرجاني، التعريفات، بيروت: دار عالم الكتب، 1987. ص 314.

[2] أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق و المغالطات، الجزائر: دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع [د،ت،ن]. ص 21.

[3] عبد العزيز الدوري «الهوية الثقافية العربية و التحديات»مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: العدد 248، أكتوبر 1999. ص ص 6–15.

[4] محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة و النشر، 1999. ص 6.

أما العلاقة بين الهوية و الثقافة فإنها تعني علاقة الذات بالإنتاج الثقافي، و لا شك أن أي إنتاج ثقافي لا يتم في غياب ذات مفكرة، دون الخوض في الجدال الذي يذهب إلى أسبقية الذات على موضوع الاتجاه العقلاني المثالي، أو الذي يجعل الموضوع أسبق من الذات، و إن كل ما في الذهن هو نتيجة ما تحمله الحواس وتخطه على تلك الصفحة (ذهن الإنسان) كما يذهب.

و منه ينتج لدينا مفهوم الهوية الثقافية و التي يصعب أن نجد لها تعريفا مانعا جامعا فالهوية الثقافية تختلف من مجتمع لآخر و من عصر لآخر. كما تختلف باختلاف التوجهات الفكرية و الإيديولوجية لمنتجي الثقافة. فالهوية الثقافية كيان يصير و تتطور إما في اتجاه الانكماش أو في اتجاه الانتشار، و هي تعنى بتجارب أهلها و معاناتهم، انتصاراتهم و تطلعاتهم و أيضا باحتكاكها سلبا و إيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى، التي تدخل معها في تغاير من نوع ما. و على العموم تتحرك الهوية الثقافية في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد كما يلي:

أ. الفرد داخل الجماعة الواحدة، هو عبارة عن هوية متميزة و مستقلة عبارة عن أنا لها آخر داخل الجماعة نفسها، أنا تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر القبيلة، المذهب و الطائفة أو الديانة التنظيم السياسي أو الجماعي.

ب. الجماعات داخل الأمة، هم كالأفراد داخل الجماعة لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، لكل منها أنا خاصة بها و آخر من خلال و عبرت على نفسها بوصفها ليست إياه.

ج. الشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى غير أنها أكثر تجريدا. و أوسع نطاقا و أكثر قابلية على التعدد و التنوع و الاختلاف.[1]

[1] محمد أمين العالم، الفكر العربي بين الخصوصية و الكونية، ط2، القاهرة: دار المستقبل العربي، 1998. ص 15.

المبحث الثاني: العامل الثقافي في العلاقات الدولية

يضم حقل العلاقات الدولية عدة متغيرات تؤثر في طبيعة التفاعلات وأنماطها بحيث أصبحت المتغيرات المعنوية تشكل أحد أهم موجهات التفاعل داخلها، ومنها الثقافة التي تعتبر أحد أهم المؤثرات بعد الحرب الباردة. ويركز هذا المبحث على البعد الثقافي كأساس لفهم صيرورة العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب الباردة.

المطلب الأول: بروز البعد الثقافي في العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة

رغم تعدد المداخل إلا أن الثقافة نالت القسط الأكبر من الاهتمام في الرؤى النظرية السائدة لفترة ما بعد الحرب الباردة. و إن اختلف هذا الاهتمام و تفاوت من مجرد الدعوة إلى إدخال الثقافة و القيم إلى التحليل و الاهتمام بالقضايا القيمية إلى رد الاعتبار للكثير من القضايا و الموضوعات و المفاهيم التي ضلت على هامش دراسة العلاقات الدولية.

و قد شكلت الثقافات دورا كبيرا في إثراء التجارب الإنسانية و اتخذت تلك التجارب صورا لها في تفاعلاتها المختلفة. و ضلت تلك التجارب والسلوكيا ت عبر الأزمان تغلف أبنية ثقافية تعطيها هويتها. و إذا كانت أدبيات دراسة العلاقات الدولية، قد تعددت وجهات نظرها بشأن الوزن النسبي المعطى للعامل الثقافي في تفسير السياسة الدولية فإنها على اختلافها لم تهمله. و قد شهد العقد الأخير من القرن العشرين إعادة بعث أهمية دور العامل الثقافي في صياغة السياسة الدولية و تفسيرها.

و قد بدأ دارسوا العلاقات الدولية حول مفهوم الثقافة بالمراكمة على إسهامات رواد علم الاجتماع والإنثروبولوجيا ليصبح هناك حد واسع من الاتصال و التقاطع حول العديد من الأمور و القضايا. و من

الأمور التي يتضح فيها هذا الاتصال بين عدد من الحقول الاجتماعية كان التعريف بالثقافة[1]، أما جذور هذه الأخيرة فهي تتصل ببعض الجهود العلمية الأولى التي عملت على خلق الصلات بين الثقافة و سلوك الدولة و التي تستند إلى حد كبير على نماذج الإنثروبولوجيا. و الممثلة بما قدم عن القوة الثقافية كعملية فرض القيم.

حتى بالنسبة للدول الأوروبية فقد جرى إعادة اكتشاف التنوع الثقافي و الهوياتي التي تم تجاهله طيلة فترة الحرب الباردة، فنهاية الحرب الباردة بين المعسكرين أدت إلى ظهور الثقافات المتصارعة داخل هذه الدول في حد ذاتها و هو ما طرح على الجانب التحليلي. التنوع الثقافي الأوروبي باعتباره أكبر عائق لنجاح عملية البناء الأوروبي[2].

فقضية الغزو الثقافي في الأساس هي أخطر ما يواجه الشعوب التي تسعى بصدد الاستقلال السياسي و بناء السيادة و الاستقلال عن طريق تغذيتها للتشرذم و الصراعات الداخلية و بث الفتن و دوافع التطرف و العنف و الاضطهاد، و هذا ما ينذر على الصعيد المستقبلي بوقوع حرب شاملة ثقافية و حضارية بعد الانتقال من الصراع الإيديولوجي.

و قد اتسم النظام الدولي بعد الحرب الباردة بمعالم ثقافية تتعلق بداية بصعود الظاهرة الأصولية في أماكن متفرقة من العالم من خلال بروز جماعات الهوية على مختلف أشكالها في أرجاء العالم لمناهضة ومواجهة أيديولوجيا التغريب و بصفة عامة و الأمركة على وجه خاص. من خلال محي هذه الجماعات

[1] أماني محمد غانم، مرجع سابق. ص 87.

[2] Marco Martiniello, Sortir des chettos cultuels, Paris: presses de la fondation des Sciences Politiques. 1997.pp 29.30.

لمحاربة الغزو الثقافي بكل الأساليب و حتى أكثرها عنفا لترهن عن انتماءاتها الحضارية استقلاليتها بعيدا عن أي تهميش في النظام الدولي الجديد[1].

عندما نتكلم عن بروز البعد الثقافي الاجتماعي بعد الحرب الباردة هذا لا يعني أنه كان غائبا أو غير موجود خلال الحرب الباردة، لكن كل ما في الأمر أنه كان لا يظهر بفعل حدة الصراعات الإيديولوجية بين الكتلتين إلا أنه بعد تفكك الإتحاد السوفيتي برز توجه لإحلال الإسلام محل الشيوعية من أجل ضمان التماسك. و هذا بتوظيف مسألة الهوية أو الحضارة للتأكد على أن الخطر الأكبر في المستقبل هو القطيعة الثقافية بين الشمال و الجنوب، بين الشرق و الغرب، و بين المسيحية و الإسلام. و المأساة في البوسنة وكوسوفو بينت حدة التناقض القائم الذي وصل إلى حد التصفية العرقية.

من هذا المنطلق كان اهتمام العلاقات الدولية بالبعد الثقافي، و خاصة لما ظهرت فواعل جديدة إلى جانب الدول في الساحة الدولية، و ظهر الاهتمام بالنزعة الفردية من خلال ظهور حقوق الأقليات و بروز مشكلة الهوية و الانقسامات الإثنية التي تعبر عن اختلاف في الثقافات و القيم و التصورات حول مشروع مجتمع الذي تجاوز مجموعة أو أخرى فرضه في حدود الدولة الواحدة.و لما كان هذا الرفض كان الصراع القيمي كأحد المجالات المعرفية القابلة للدراسة و الفحص و بيان مدى هذا الصراع في العلاقات الدولية[2].

لقد تبين لنا فيما لنا فيما سبق أهمية الثقافة باعتبارها خاصية إنسانية، وأنها لا تعتبر كذلك إلا إذا كانت تستفيد وتفيد غيرها من الثقافات الأخرى تماشيا مع المفهوم الواسع المعطى لها في العلاقات الدولية مما يخلق روابط وصلات متينة بين الدول، وخلق تفاهم وفهم متبادل بينها. حيث تكون مهدئا ومخففا للخلافات والصدامات التي قد تحدث فيما بين الدول لأنه قليلا ما تصمد تلك الروابط أمام الخلافات السياسية

[1] محمد نصر مهنا، قضايا سياسية معاصرة، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث 1997. ص ص 207، 208.

[2] العلالي الصادق، العلاقات الثقافية الدولية (دراسة سياسي–قانونية)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2006.ص 105.

التي تستهدف المصالح فقط، والنزاعات والخلافات قد تتحول إلى حروب بسبب طبيعة نظام العلاقات الدولية غير العادل، و رد فعل عنيف عنه إضافة لأسباب عديدة قد تكون في جوهرها اقتصادية وسياسية واجتماعية.

المطلب الثاني: الثقافة كمنظور جديد لتفسير العلاقات الدولية

لقد جاء الاهتمام بالعامل الثقافي في العلاقات الدولية في خصم الأحداث الدولية في العقدين الأخيرين.التي من بينها الثورة الإيرانية حسب إعادة العامل الديني و الثقافي كمحرك للثورة إلى الساحة الدولية الذي اعتقد الكثير من الباحثين و المختصين اندثاره و بالتالي تسليط الضوء من جديد على اعتبار الثقافة ودورها بكل مكوناتها في صناعة سلوك الفواعل الدولية.

حيث بانتهاء الحرب الباردة تراجعت الاعتبارات و العوامل الأيديولوجية و الأمنية التي كانت تبدو حاسمة في تقرير مصائر الأمم و علاقاتها و تزايد الاهتمام و التركيز على العوامل الثقافية كقوة مؤثرة ودافعة في الشؤون الدولية و انتقل هذا الاهتمام إلى العديد من الكتب و الدراسات الأكاديمية. و في السنوات الأخيرة لاقت الثقافة المزيد من الاهتمام سبب واحد الأرجح ناتج من الأهمية المتزايدة لاضطرابات داخلية و حرب أهلية، و الصعوبة المتزايدة في التعبير بين الصراع الداخلي و الدولي. كما الهوايات و القيم المتباينة، تعتبر من المنظور البنائي الذي يرى أن الهوايات و المصالح ظواهر مبنية اجتماعيا، فهي «تسمى إلى رسم خريطة لمجموعة كاملة من العوامل المثالية التي تشكل رؤى و سلوك الفواعل، تتراوح ما بين الثقافة و الأيديولوجية لتطلعات و معتقدات مبدئية، على الأسباب و المسببات المعرفة لمشاكل السياسة العامة المحدد » فالتحليل الثقافي يعتبر عنصرا رئيسيا في جهودها الرامية إلى تفسير أحداث العالم.

و قد اختلفت و تعدد المدارس حول تحديد طبيعته و أهمية دور الثقافة في العلاقات الدولية فالبعض ينكر أي دور لها،و البعض يعتبرها عاملا من العوامل الأخرى دون فرق و تفريق بينها، و البعض الآخر

يعتبرها أهم العوامل و قد أكد ذلك الأستاذ الفرنسي: مارسيل ميرل أستاذ العلاقات الدولية في تدخله أمام المؤتمر الأول للجمعية الفرنسية للعلوم السياسية في باريس سنة 1981 في محاضرة له تحت عنوان «المقتربات القافية في العلاقات الدولية » حيث يرى أنه توجد ثلاثة أطروحات خاصة بتحديد دورها في العلاقات الدولية، والمتمثلة في الأطروحة الحدية والأطروحة الوسطى، والأطروحة العظمى.

– **النظرية الحدية Minimaliste Thèse** : ترى هذه الأطروحة أن لا دور للعامل الثقافي في العلاقات الدولية. لأنه مفهوم صعب التحقيق و التحديد، و الاختلاف حوله كبير مما جعله مثار جدل بين المهتمين. و أنه عبارة عن حجاب و غطاء يخفي الصراعات المتعددة و المتمركزة في مجالات أخرى "كالصراعات الأيديولوجية، السياسية و الاقتصادية" إضافة إلى انه عامل كثيرة ما يستخدم لتبرير تصرفات وسلوكيات إنسانية ما، لتغطية و إخفاء الأسباب الحقيقية التي تدفع إلى القيام بها، ومن ثم فهو "مبرر للقيام بأعمال وسلوكيات إنسانية كثيرا ما تختفي وراءه الأسباب الحقيقية الدافعة" خاصة منها استعمال القوة التي مازالت معيارا مقبولا للتفريق بين الدول، عكس العامل الثقافي الذي لا يعتد به فرغم تمتع هذه الدول بالسيادة فإن تقسيمها في العلاقات الدولية مازال يتم على أساس القوة (باعتبارها أساس وجوهر العلاقات الدولية).

ويعد مورغانتو العالم الأمريكي من أبرز ممثلي هذه المدرسة انطلاقا من أن سياسة الدول ما هي في الحقيقة إلا تحقيق القوة و السلطان فهو يرى أن « السياسة الخارجية لأي دولة من الدول هي البحث عن السلطان» و منه فالعالم السياسي المتمثل في المصلحة هو الموجه لسياسة الدولة، حسب الفترات والأوضاع السياسية و الزمنية التي تمر بها الدول. لأن شكل المصلحة يتغير بتغير الزمان و الضروف، ويتشكل حسبها « فيصير العمل السياسي في فترات التاريخ معتمدا المحتوى السياسي و الثقافي الذي تصاغ فيه و حسبه السياسة الخارجية»[1].

[1] العلالي الصادق، مرجع سابق. ص ص 112، 116.

و يستنتج مما سبق أن العالم الأمريكي مورغانتو و رغم جعله العالم السياسي منطلقا و شكلا لأي عمل إلا أنه لا ينفي دور العامل الثقافي في ذلك بل يجعله من مضامين و غايات ذلك العمل .

– **النظرية الوسطى Thèse Médiane:** تذهب هذه الأطروحة عكس ما ذهبت إليه الأطروحة السابقة النافية لأي دور للعامل الثقافي. حيث تأكد دوره و أهميته مع قيامها بتحديد ذلك الدور و تلك الأهمية و درجتها، إن كانت حاسمة أو عادية، ويمثلها بعض المفكرين أمثال الفرنسي Durosselle الذي أشار في كتابه كل الإمبراطوريات فانية Toute empire périra إلى أهمية القيم و المبادئ في التأثير على الجماعات الدولية، فالأفكار و الإيديولوجيات و الأنظمة العقائدية التي تجعل الإنسان يضحي من أجلها ويسترخص نفسه في سبيلها و يصبح مستعدا للتضحية بالغالي و النفيس من أجل تحقيقها فالعامل الثقافي المكون لشخصية و نفسية شعب يصبغه بصبغة و يجعله موجها له، و بالتالي يصبح مستعدا للموت والتضحية في سبيل ما يتضمنه ذلك العامل الثقافي من مبادئ و قيم وينتظم سلوكه طبقا له.

اعتراف "دي روسيا" بأهمية و دور الثقافي لا يجعل هذا العامل واحدا وحيدا في العلاقات الدولية بل يجعله يتكامل مع العامل الاقتصادي الذي يجعله أهم من العامل الثقافي بل موجه له، فهما يتكاملان من جهة رغم اختلافهما من جهة أخرى مع إعطاء أهمية أكبر للعامل الاقتصادي في العلاقات الدولية والذي يبقى أهم من العامل الثقافي. فالعاملان يتبادلان التأثير حسب المراحل أحيانا و يتفق أحدهما على الآخر أحيانا أخرى.

– **النظرية القصوى Thèse Maximaliste:** هي نظرية تأسس نظرتها على حيوية و ديناميكية العامل الثقافي (الخصائص الثقافية) و ترى أن للعامل الثقافي دور حاسم في العلاقات الدولية و من أبرز مؤيدي هذا الطرح العلامة الفرنسي مونتيسكيو الذي أبرز في كتابه (روح الشرائع) الخصوصيات المميزة لكل

شعب من الشعوب، و الفيلسوف و المفكر الألماني هيغل الذي كثيرا ما مجد الروح التي تشكل الشعوب وتكونهم، و تصوغهم صياغة تجعلهم يختلفون عن غيرهم فتعطي و تقدم له محتوى و شكل. كما نجد من مؤيدي هذه النظرية العالم الفرنسي دي توكفيل.

يقول المؤيدون لدور البعد الثقافي لعلى دراسة دور العوامل الثقافية في تشكيل هويات الدول والجماعات، و صياغة الأعراف و المبادئ التي تنظم العلاقات الدولية تستحق اهتماما خاصا من طرف علماء العلاقات الدولية فهذه الدراسة قد تفتح آفاقا في هذا الحقل و تعيننا على فهم ظواهر قد تستعص على مدارس العلاقات الدولية. و لهذا تهتم النظرية البنائية في هذا الدور و تتميز بنظرتها إلى الهويات و الأعراف و المبادئ باعتبارها غير ثابتة أو معطاة للفاعلين الدوليين، بل أنهم يعيدون تشكيلها و بنائها و من هنا جاء اسم البنائية. و يرون أن "الأعراف لا تعمل من وراء ظهور الفاعلين، بل إنهم يحددون ماهيتها و يتصارعون على تحديد تلك الماهية لأن نظراتهم لها مختلفة لأنها تنبع من اعتقادهم و مبادئهم المختلفة و حساباتهم المتعارضة"[1]

[1] أحمد علي سالم، « القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي»، لبنان: المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 20، أكتوبر 2008. ص 134.

المبحث الثالث: النظريات المفسرة للبعد الثقافي في العلاقات الدولية

إن التغير الذي طرأ على المفاهيم السائدة بعد الحرب الباردة، استلزم ضرورة إيجاد أطر جديدة لتفسيرها حيث أنه لم يعد بإمكان الأطر السابقة تفسير وتحليل ما يحدث على الساحة الدولية. وهو ما أدى إلى بروز طروحات من أمثال البنائية وكذا أطروحة نهاية التاريخ وصدام الحضارات بالإضافة إلى مفهوم حوار الحضارات. وهذا ما سيتم التطرق إليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: التفسير البنائي للعامل الثقافي للعلاقات الدولة

إن القضية المحورية في عالم ما بعد الحرب الباردة هي بروز قضايا جديدة على مستوى أجندة السياسة العالمية، و خاصة صعود البعد الثقافي في العلاقات الدولية و تزايد الصيحات الدولية حول تنامي دور هذا البعد و رغم أن التحليل البنائي لا يستبعد متغير القوة إلا أن البنائية ترتكز بالأساس على كيفية نشوء الأفكار و الهويات، و الكيفية التي تتفاعل بها مع بعضها البعض لتشكل الطريقة التي تنظر بها الدول لمختلف المواقف و تستجيب لها تبعا لذلك.

ظهرت البنائية في العلاقات الدولية في نهاية الثمانينات كانتقاد للاتجاهات التي كانت سائدة في العلاقات الدولية، كان Nicholas Onuf أول من استعمل المصطلح في كتابه WORLD OF OUR MAKING حيث ركز على انتقاد أعمال الواقعية البنيوية.[1] و أيضا مع المقال المرجع لـ Alexander Wendt الملقب بأي البنائية، الصادر سنة 1992 و المعنون بـ " Anarchy Is Whate States Make Of It: The Social Construction Of Power Politics"[2].

[1] حمايدي عز الدين، «دور التدخل الخارجي في النزاعات العرقية»، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة 2002.ص 24.

[2] عمار حجار،«السياسة الأمنية الأوربية تجاه جنوبها المتوسط»، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة 2002. ص40.

حيث تزامنا ظهورها مع نهاية الحرب الباردة، التي شكلت فشل أمام العديد من النظريات و خاصة النظرية الواقعية باتجاهيها في التنبؤ بنهاية هذه الحرب بطريقة سلمية. كما ساهمت هذه الحرب في إضفاء الشرعية على النظريات البنائية لأن الواقعية و الليبرالية أخفقتا في استباق هذا الحدث كما أنهما وجدتا صعوبة كبيرة في تفسيره، بينما تمتلك البنائية تفسيرا له خصوصا ما يتعلق الثورة التي أحدها ميخائيل غورباتشوف في السياسة الخارجية السوفياتية باعتناقه أفكار جديدة "كالأمن المشترك".

كذلك بروز قضايا الأقليات، الإرهاب، و التنظيمات الإرهابية أو ما يعرف بالفاعل الخفي. و تركيزه على قوة الخطاب الموجه إلى المجتمع الوطني أو الدولي، و اللعب على مستوى النعرات الذاتية و الانتماءات الثقافية للأفراد. بالإضافة إلى تزايد التركيز على الشعور بالهويات خصوصا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي و ظهور النزاعات العرقية التي كانت سمتها الأساسية دور الهويات داخلها و شعورها بضرورة ممارسة دورها في السياسة العالمية كفاعل مستقل. و بالتالي إعطاء الصيغة الجديدة للتفاعل العالمي داخل النظام الدولي و الذي يشهد بروز العديد من الفواعل اعتمادا على تصور Alexander Wendt فإن البنائية تنطلق من الافتراضات الأساسية التالية لتقديم فهم أو إدراك أكثر عمقا للسياسة الدولية، و تتمثل هذه الافتراضات في:

- الدول هي الوحدات الأساسية للتحليل.
- البنى الأساسية للنظام القائم على الدول مبنية بشكل تذاتاني Intersupjective.
- هويات و مصالح الدول تتشكل في معظم أجزاءها بفعل البنى الاجتماعية، أكثر ما هي موجودة بشكل منعزل ضمن النظام.[1]

[1] جندلي عبد الناصر، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية و النظريات التكوينية، الجزائر: دار الخلدونية، 2007. ص 324

من حيث نظرتها للعلاقات الدولية ترى البنائية أن العلاقات الدولية عبارة عن مجتمع دولي Global Society لتتفق بذلك مع هندلي بول الذي يرى أن العلاقات الدولية عبارة عن مجتمع فوضوي، غير أن البنائية ترى أن الفواعل ليست فقط الدول بل كذلك المنظمات الدولية. و التي لا يمكن اعتبارها مجرد امتداد لسياسة الدول بل فواعل ذات شخصية مستقلة عن أعضائه بالإضافة إلى الفواعل عبر الوطنية والحركات الاجتماعية المختلفة من بينها الحركات العرقية و الوطنية، كما أن المجتمع الدولي – حسب البنائية – لا يمثل حاصل جمع هذه الفواعل بل هو كائن[1] آخر يؤثر و يتأثر بأجزائه.

إلى جانب ذلك ترفض البنائية ما يسمى تصور كرات البلبار للعلاقات الدولية، و الذي تعتمد عليه الواقعية لأنه فشل في إبراز أفكار و معتقدات الفاعلين الذين أقحموا أنفسهم في النزاعات و الصراعات الدولية. بينما يرغب البنائيون في اختبار ما يوجد بداخل كريات البلبار للوصول إلى إدراك تصور معمق بشأن تلك الصراعات. بيد أن البنائية تتقاسم مع الواقعية بعض الافتراضات، لاسيما تلك المتعلقة بفوضوية النظام الدولي، الإقرار بالإمكانيات و القدرات الإستراتيجية العسكرية للدول، انعدام الثقة في نوايا الوحدات السياسية الأخرى و عقلانية الفاعلين.[2]

يعد مفهوم الهوية من المفاهيم المهمة لأتباع النظرية البنائية ليس فقط لأنها تساعد على تحديد المصلحة للفاعل لكنها مهمة أيضا لصناعة السياسة العامة للدولة، إذ يفترض البنائيون أن الهوية تمنح أو تحدد للفاعل دورا في العلاقات الدولية؛ و بذلك سيتصرف الفاعل دوما بما يراه ملائما لهذا الدور. فعلى سبيل المثال أظهرت مجموعة من الدراسات أن الاعتقاد السائد بين الألمان بعد الحرب العالمية الثانية بأوربية ألمانيا و بأهمية التكامل الأوربي أدى إلى سياسات مختلفة عما سبق كما أكدت البنائية على مجموعة نقاط:

[1] حمايدي عز الدين، مرجع سابق. ص 34

[2] جندلي عبد الناصر، مرجع سابق. ص 325

– النظام الدولي "هو مجموعة من الأفكار، نظام من المعايير التي تم ترتيبها من قبل بعض الأشخاص وخاصة في زمان ومكان" وهؤلاء الوكلاء يبنون الواقع الاجتماعي يعيدون بناءه من خلال الممارسة اليومية كما أن النظام الدولي مبني اجتماعيا وليس معطى مسبق.

– الوكلاء ليس لهم وجود مستقل عن بيئتهم الاجتماعية. وهكذا فمصالح الدولة خارجة عن البيئة التي تعمل بها الدول و تتفاعل ذاتيا مع الدول.

في العالم الاجتماعي الذي ينطوي على الأفكار و المعتقدات و المفاهيم و اللغات و الخطابات وعلامات و إشارات. الأفراد هم من ينتجون العالم الاجتماعي و بعبارة أخرى في قلب عمل البنائيين البيئة الاجتماعية هي التي تحدد من نحن. و أن هويات مبنية اجتماعيا و علاوة على ذلك يركز البنائيين على كل من الخلافات بين الأفراد و كيف هذه العلاقات تتشكل عن طريق المؤسسات الاجتماعية الجماعية. كما تركز البنائية على البنية المثالية أو المعيارية بدلا من البنية المادية ذلك أن البنية المثالية تحدد معنى و هوية الأفراد.

فضلا عن ذلك يركز أتباع البنائية على العوامل و الطرائق التي تحدد الهوية للفاعل و كيف تتغير هذه الهوية؟. فهم قريبون بذلك –إلا حد ما– من أتباع ما بعد الحداثة: و ذلك بتوصيف ما يسمى بالأخر و تضيفها لهذا المنهج بتحليل الهوة و توصيفها.و هذا الأسلوب يعتمد على أن لكل هوية نقيضا أو معيارا مخالفا له أو مغايرا. فعدم وجود الآخر يلغي وجود الأنا و الهوية. [1] و لكن يتميز البنائيون عن أتباع بعد الحداثة بأنهم لا ينطلقون من أسس لغوية أو فلسفية، بل من علم النفس الاجتماعي. فالدراسات العديدة لمجموعات أو جماعات إنسانية أظهرت أن هذه الجماعات تفرق بين من ينتمي إلى المجموعة ومن هو خارج هذه المجموعة، و يكتسبون هويتهم من هذا التفريق. و هناك أمثلة عديدة تعطى على ذلك

[1] خالد المصري،«النظرية البنائية في العلاقات الدولية»، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية و القانونية، المجلد 30، العدد 2، 2014. ص 326

مثل الهوية الأمريكية في مواجهة جماعات أخرى و أمم أخرى و الهوية الغربية في مواجهة الهوية العربية.

الهوية بالنسبة إلى البنائيين لا تتغير بشكل سهل إلا إذا كان هناك تغير كبير جعل الوحدات الفاعلة تنخرط بعلاقات اجتماعية جديدة تسهم في تحديد هوية جديدة مثل الحرب العالمية الثانية بالنسبة لأوربا أحدث 11 سبتمبر 2001 بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

المطلب الثاني: صراع الحضارات كمدخل تفسيري في العلاقات الدولية

لعل أفضل ما نبدأ به دراستنا لهذا المدخل هو مقوله صامويل هنتنغتون:

"الفرض الذي أقدمه هو أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرا إيديولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول. فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، و المصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا. و ستضل الدول/الأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم و مجموعات لها حضارات مختلفة. و سيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقل"[1]

إن الفكرة المركزية المحركة لأطروحة صدام الحضارات هي تبنيها الصريح لفكرة اعتبار الحضارة العامل الجديد الذي سيتحكم في صيرورة العلاقات الدولية، و بالتالي فالانقسامات الكبرى في العالم ستكون

[1] صمويل هنتنغتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب، [د،م،ن] ،[د،د،ن] ،ط2، 1999.

انقسامات ثقافية تتصادم في إطارها مجموعة من الكتل الحضارية المتنافسة. و من هنا فجوهر الأطروحة يكمن في كون الحضارات باعتبارها أرقى أشكال الهوية سيكون لها دور فعال في المستقبل القريب و ذلك على أساس أن الصراع الحضاري هو الذي سيطبع السياسة الدولية مستقبلا و سيكون أحد العوامل الفاعلة في تحديد طبيعة النزاعات القائمة. و بما أن هذه النظرية تتناول أيضا الصراع في داخل الدول، فإن تأثيراتها تتجاوز العلاقات الدولة. لذلك لاقت نظرية هنتنغتون اهتماما فأفكاره حول هذا الموضوع كثيرا ما استشهد بها في أعمال أخرى. ومستوى الصراع عنده يتم على مستويين:

- المستوى الجزئي Micro-Level: تتصارع المجموعات المتجاورة على امتداد خطوط التقسيم (الصدع) بين حضارات بصورة عينية على السيطرة على أراضي بعضها البعض.
- المستوى الكلي Macro-Level: تتنافس دول من حضارات مختلفة على القوة العسكرية والاقتصادية النسبية و تتنافس على ترويج لقيمها الدينية و السياسية الخاصة.[1]

من هذا المنطلق فإن هذه الأطروحة هي بمثابة صياغة جديدة و حديثة للعلاقات الدولية و موازين القوى تطرح العامل الثقافي كمبدأ محرك للجيوسياسية العالمية. إن الفكرة الأساسية لصامويل هنتنغتون و المحركة لأطروحة صدام الحضارات تبدأ من ثلاثة فرضيات:

- **الفرضية الأولى:** خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة سيكون الصراع العنيف بين دول من مختلف الحضارات سيكون أكثر احتمالا مما كانت عليه خلال الحرب الباردة.
- **الفرضية الثانية:** خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة سيكون الصرع العنيف أكثر شيوعا بين التجمعات المجاورة لمختلف الحضارات (أولائك على خطوط الصدع) أكثر من بين التجمعات المجاورة لحضارة واحدة.

[1] عباس الحديثي، نظريات السيطرة الإستراتيجية و صراع الحضارات، عمان: دار أسامة للنشر و التوزيع، 2004. ص 80.

– **الفرضية الثالثة:** خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة سيكون الصراع العنيف تكون أكثر احتمالا بين دول من الحضارتين الغربية و الإسلامية أكثر من الدول من الحضارات الأخرى.[1]

و من هنا فإن جوهر فرضية هنتنغتون على وجه التحديد في الفكرة القائمة أننا في طور جديد من السياسة العالمية ستكون في الثقافة هي الباعث الرئيسي للانقسامات الكبرى بين الشعوب و المصدر المسيطر و السائد للصراع الدولي. حيث يؤكد بروز الهوية الثقافية في عصرنا الحاضر فعل أساسي سيهيكل الصراع الدولي. و بالتالي فإن ظاهرة التصادم بين الحضارات ستحل محل الحرب الباردة باعتبارها الظاهرة المركزية لتفاعل التصارعي العالمي.

فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية و المصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا[2]. إذا نحن أمام حقبة جديدة لن تكون فيها الدولة القومية محط الاهتمام، و إن كانت ستبقى كوجود رئيسي على المسرح العالمي و ذلك «لأن الناس أصبحوا يميلون للاندماج في كينونة أكبر من دولهم الصغيرة، فالألمان مثلا أصبحوا ينظرون إلى أنفسهم كأوروبيين أكثر منهم كألمان. و هذه الفكرة هي التي بدأت تنتشر بأنماط مختلفة في العالم كله».

هكذا يقلل هنتنغتون من دور الدول ليضع محلها الحضارة ككيان سياسي متماسك سيهيمن على مسار السياسة الدولية، لكن لابد من إدراك أن تجمعات الدول لم تعد تتشكل في إطار الكتل الثلاث للحرب الباردة (الشرق، الغرب و العالم الثالث) بل إنها تتطور في ظل تجمعات ثقافية كبرى تتمحور حول سبع أو ثماني حضارات لذلك فإنه في فترة ما بعد الحرب الباردة الاعتبارات الثقافية هي التي ستحدد التحالفات أكثر من العوامل الاقتصادية و الأيديولوجية، و بالتالي فإن المفاهيم التقليدية المنظمة للتوازن العالمي ستترك مكانها

[1] مارتن غريفيتش، تيري أوكلاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2008. ص 279.
[2] صامويل هنتنغتون، المرجع السابق. ص 59

لمفهوم التضامن بين البلدان المنتمية إلى الحضارة نفسها. و هذا ما يسميه هنتنغتون ب « تعبئة الحضارات» أو الانتماء المشترك للحضارة، و الذي ينتج منه سياسة الكيل بمكيالين، أي التعامل مع البلدان ذات القرابة الثقافية بمقياس يختلف تماما عن المقاييس التي يتم التعامل بها مع البلدان الأخرى

و بعد أن حدد هنتنغتون الغرب أو الحضارة الغربية و الآخر: الحضارات غير الغربية، انتقل إلى العلاقات المختلفة بين كل هذه الأطراف في هذا العالم الذي يسميه (عالم الحضارات)؛ ففي هذا العالم حسب رأيه، العلاقات بين الدول و الجماعات من حضارات مختلفة لن تكون وثيقة و غالبا ستكون علاقات عدائية علاوة على ذلك، بعض العلاقات الحضاراتية المتداخلة ستكون عرضة للصراع أكثر من الأخرى، على المستوى الجزئي و المستوى الإقليمي أكثر خطوط الصدع عنفا تكون بين الإسلام و جيرانه الارثوذكس والهندوس و الأفارقة و المسيحيين الغربيين، و على المستوى الكلي أو العام يكون التقسيم بين «الغرب والشرق» مرتبطا بصراعات شديدة بين المجتمعات المسلمة و المجتمعات الآسيوية من جهة و المجتمعات الغربية من جهة أخرى، الصدامات الخطيرة في المستقبل من المحتمل أن تنتج من التفاعل مع العجرفة الغربية و اللاتسامح الإسلامي و الإصرار الصيني[1].

و يرى هنتنغتون أن التزايد الديمغرافي الكبير للمسلمين خصوصا الفئة الشابة التي يراوح ما بين 16 و30 سنة، و التي تشكل ذخيرة مهمة في الصراعات، ستزيد من حدة النزاعات بين المسلمين و باقي الشعوب. و من هذا المنطق يعتقد أن الصراع بين روسيا و الشيشان ستدوم طويلا بدون أن يعرف غالبا أو مغلوبا.[2]

و سيؤدي التضخم الديمغرافي لدى الحضارات غير الغربية إلى ضغوط ديمغرافية على الغرب الضعيف سكانيا و ذلك عبر ظاهرة الهجرة، التي ستعرف تزايدا كبيرا عند بداية القرن ما سيخلق أزمة هجرة عالمية. والغربيون أصبحوا يخشون أكثر فأكثر من أن يتم « اكتساحهم ليس من طرف الجيوش و الدبابات، لكن من

[1] مالك عبيد أبو شهيوة، منطلقات و آليات صدام الحضارات، بيروت: دار أكاكوكس، 2001. ص 23.

[2] Samuel Huntington, «Quelques vérités sur la guerre en Tchetchénie», le Monde, 25/12/1999. pp,1 et 17.

طرف المهاجرين الذين لديهم لغات و آلهة و ثقافات خاصة بهم» و هذا ما يهدد نمط الحياة الغربية و الهوية و الوطنية للشعوب الغربية. و لذلك يطالب هنتنغتون الغربيين بالحد من الهجرة وبضرورة الإدماج الثقافي للمهاجرين غير الغربيين في الثقافة الغربية.

ويبدو أن مجموع هذه المبررات التي قدمها هنتنغتون حتى يعزز بها تحليله و يقوي فرضيته حول التصادم الحضاري، مترابطة فيما بينها و تتمحور جميعا حول صعود الخصوصيات الثقافية كرد فعل واستجابة لتحديات الغرب و رهانات العولمة [1](أنظر الشكل الموالي).

[1] محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006. ص ص 119، 120.

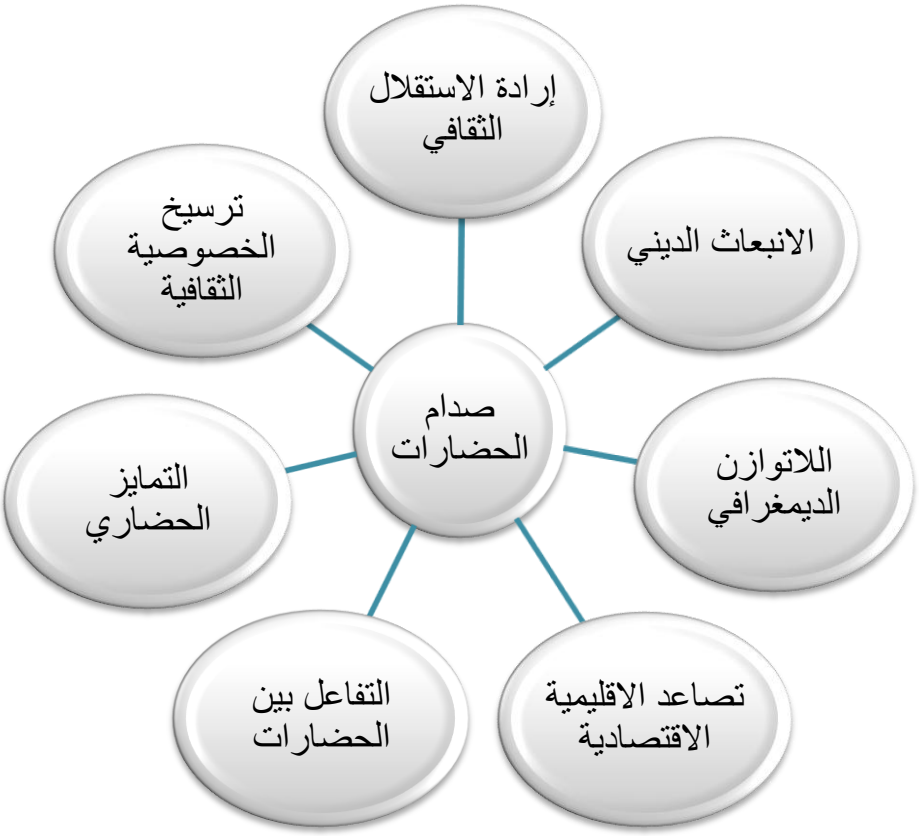

<u>بواعث التصادم الحضاري حسب أطروحة هنتنغتون</u>

إن أطروحة "صدام الحضارات" عززت إعادة الثقافة في مناقشة السياسة بحيث إن نظريات التنمية في عقد الستينات التي تمادت في التهميش من شأن الثقافة، تبدو الآن نظريات ساذجة و متجاوزة، لكن هنتنغتون لا يقف عند حد إعادة الاعتبار للفاعل الثقافي في العلاقات الدولية، بل انه يبالغ في تقديره لأهمية هذا الفاعل فأطروحته تتسم بقد كبير من التبسيط بسبب غلبة النزعة الثقافوية عليها، و الاستغراق في التحليل الثقافي إلى الحد الذي يختزل تفاعلات دولية شديدة التعقيد في صورة أحادية و على نحو يتجاهل الجوانب المتعددة في هذه التفاعلات[1].

و هذا هو عيب التحليل الهنتنغتوني فهو يقدم لنا تفسيرا ثقافيا خالصا شموليا لكل المتغيرات الدولية، دون أن يحمل نفسه مشقة البحث و التفكير في التعقيدات و التشابكات التي تفرضها التداخلات الاقتصادية والجيوستراتيجية الراهنة.

المطلب الثالث: حوار الحضارات كرؤية جديدة لتفسير العلاقات الدولية

حوار الثقافات، أو حوار الحضارات، أو حوار الأديان أو الحوار الإسلامي المسيحي أو حوار الشمال و الجنوب، أو حوار الإسلام و الغرب، أو الحوار الغربي الأوربي كلها عناوين لموضوع واحد، أو لموضوعات متقاربة متداخلة، لا تكاد تتميز بشيء من التعميم أو التخصيص . و هي موضوعات كثر تناولها في عدد من الكتب و المقالات و المحاضرات و الندوات و المؤتمرات. و مع هذا فالموضوع جدير بإعادة الخوض فيه لتوسيع نطاق المهتمين به من الجانبين عسى أن ينتقل الأمر من مرحلة الفهم و الاقتناع إلى مرحلة التعاون على العمل المشترك بين جميع المؤمنين بالسلام و العدل و اقتلاع بذور الأحقاد بين الشعوب.

[1] محمد سعدي، مرجع سابق. ص 168

تعتبر فكرة "حوار الحضارات" من الأفكار و المفاهيم الأساسية التي انتهى بها القرن العشرين، حيث أصبحت تحتل مكان الصدارة في قائمة الاهتمامات لدى العلماء و النخب الفكرية و السياسية و مراكز البحوث المختلفة والمؤسسات الدولية ففي أواخر سبعينيات القرن العشرين طرح "روجيه غارودي" دعوة للحوار بين الحضارة الغربية من ناحية، و بقية حضارات العالم من ناحية أخرى. كان ذلك في كتابه "في سبيل الحوار بين الحضارات" الذي دعا فيه الغرب للإفادة من التنوع الحضاري الهائل الذي تقدمه الحضارات الأخرى، و ذلك بدلا من نزعة التعالي الحضاري التي تفوت إمكانية التعلم من ثقافات العالم الأخرى[1].

كما أصبح هذا الموضوع مطروحا بقوة على جدول أعمال الكثير من اللقاءات الدولية الثقافية والسياسية و أيضا الاقتصادية. لاسيما بعدما أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 2001، عاما للحوار بين الحضارات[2]. و كرس منتدى دافوس الاقتصادي العالمي قبلها جلسة خاصة في جانفي 2000، لتناول موضوع حوار الحضارات.

هكذا يمكن التمييز بين مشروعين متمايزين للحوار بين الحضارات الأولى مشروع ثقافي و الثاني مشروع سياسي. و في حين يمكن التأريخ للأول بنشر غارودي لكتابه. و يمكن التأريخ للثاني بخطاب الرئيس الإيراني السابق" محمد خاتمي" في الأمم المتحدة في عام 1998 و كلا المشروعين– رغم اختلافهما– يشتركان في كونهما رد فعل شبه مباشر على ممارسات أو مواقف غربية، فالمشروع الثقافي رد فعل على دعاوي المركزية الأوروبية التي تروج لأسطورة أن أوروبا بخاصة و الغرب بعامة هما محور تاريخ البشرية وعقل العالم و من ثم تتم إزاحة بقية ثقافات البشرية و حضاراتها نحو الهامش التابع، الذي يؤثر و لا يتأثر. أما المشروع السياسي فهو رد فعل مباشر على أسطورة أخرى لا تقل ذيوعا و خطورة، هي أن مستقبل

[1] روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، تر: عادل العوا، ط4، لبنان: دار عويدات، 1999. ص ص 11 – 23.

[2] يمكن الإطلاع على القرار على موقع الأمم المتحدة على الشبكة الدولية للمعلومات على الرابط التالي:
http://www.unesco.org/dialogue/en/566.pdf

العالم القريب تحكمه الصراعات الحضارية بين جبهة الغرب من جهة و الكونفوشية و الإسلام من الجهة الأخرى[1]

و إن ظهور مفهوم "حوار الحضارات" كان محصلة لعوامل كثيرة منها:

- انتهاء الصراع الإيديولوجي مع سقوط المعسكر الشرقي.
- صعود دور الأديان.
- الثورة المعلوماتية، و تطور وسائل الإعلام و الاتصال

لعل أهمها، ظهور مقولة "صدام الحضارات" التي أطلقها صامويل هنتنغتون فتحولت من شعار إلى إستراتيجية، و سلطت الأضواء على مجموعة من الثوابت الجيوسياسية و التطورات العالمية، و حاولت صياغة خطاب استراتيجي جديد للغرب. لاسيما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، بما يمكنها من تكريس هيمنتها على العالم، و تحقيق مصالحها في ظل الأحادية القطبية لاسيما في العالم العربي و الإسلامي الذي جعلته مقولة الصدام في موضع مصدر التهديد للغرب و مصالحه، ثم في موضع المتهم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

لقد بدأت تباشير الحوار العربي/الأوروبي بعد حرب أكتوبر 1973، بعد أن ظهر العرب كقوة اقتصادية و سياسية كبيرة على الساحة الدولية، و اقترن هذا الحوار بتغير استراتيجيات التعامل مع الغرب الأوروبي، و رغبة بعض الدول –خاصة مصر– في استبدال الإستراتيجية التي تحكم علاقاتها الخارجية في شكل توثيق للعلاقات السياسية مع دول غرب أوروبا و أمريكا.[2] و على الرغم من انقضاء عقود طويلة على

[1] تقرير المنضمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة (إيسيسكو) 2008 متحصل عليه:
www.isesco.org.ma/english/dialogue/dialogue%20paper%20english%20 2007.pdf

[2] حازم الببلاوي، نحن و الغرب: عصر المواجهة أو التلاقي؟، القاهرة: دار الشروق، 1999. ص 10.

هذه البداية إلا أن الحوار –بحسب ما يرى البعض– لم يؤت أكله؛ بل إن الصورة قد ازدادت سوءا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر و غزو العراق فكلاهما دعما تصورات سلبية عن الطرف الآخر. فقد تذرع البعض بأحداث سبتمبر بإلصاق تهمة الإرهاب على العرب خاصة و المسلمين عامة، بينما كان الغزو تجليا بشعا لأحد وجوه الغرب القبيحة، و المقصود وجه الغرب الاستعماري الاستغلالي الوحشي.

مع ذلك فإن الظروف تبدو ممهدة بشدة أمام العرب باستئناف الحوار مع الغرب و تدعيمه نتيجة للتغيرات الدولية الجذرية التي تحدث في الوقت الراهن، و من أهمها بداية تشكل عالم متعدد الأقطاب. و هو ما يعني أن الحوار بين هذه القوى المتباينة سوف يكون أداة المستقبل للتعايش فيما بينها؛ إن لم يعد العالم قادرا على دفع تكاليف حرب كونية جديدة و على الصعيد العربي من المؤكد أن التغييرات السياسية التي تجتاح العالم العربي باتجاه الديمقراطية سوف تعيد بعض الاعتبار للعرب كقوة دولية، وهو ما قد يضم في المستقبل تراجعا في سياسة الهيمنة لصالح سياسة التحاور.

لا يكفي أن يكون الظرف الدولي ممهدا لكي ينجح مثل هذا الحوار؛ و ثمة معارف أساسية لابد من توافرها لدى أطرافه، ربما كان من أهمها معرفة أنفسهم و معرفة من يتحاورون معه، و تحديد أي حوار يرغبون في تحقيقه، و أية أهداف يبغونها منه. و الحوار بين العرب و الغربيين هو حوار بين بشر في الأساس، هذا الحوار قد يكون سياسيا أو ثقافيا أو رياضيا...إلخ. فرديا أو جماعيا، رسميا أو غير رسمي، منضما أو عفويا، متصلا أو متقطعا. و قد يقع في مدرجات الدرس أو على قارعة الطريق، في قاعات ملكية أو في مقاهي شعبية.

ومن ثم فإننا أمام أواع مختلفة من الحوار لكل منها خصائصه و ترتيباته و شروطه و أهدافه الخاصة ويمكن تقسيمها بحسب العوامل التالية:

١ -الخلفية المعرفية للأفراد المشاركين و انتماءاتهم الجغرافية أو العرقية أو الدينية: الأفراد المشاركون في الحوار يختلفون بحسب موضوع الحوار؛ فهناك حوارات أكاديمية متخصصة يشارك فيها أهل الخبرة من العلماء الأكاديميين، و أخرى دبلوماسية يشارك فيها رجال السياسة و الحكم، و ثالثة عامة يشارك فيها أفراد عامة الشعوب...إلخ كما يختلفون بحسب انتماءاتهم الجغرافية أو العرقية أو الدينية فهناك ما يعرف بالحوار الإسلامي/المسيحي، و الحوار العربي/الأوروبي و الحوار بين الشمال والجنوب، و الحوار الأورومتوسطي. و على الرغم من أن لكل من هذه المشاريع أجندته الخاصة وسياقه التاريخي فإن ما يجمعها هو أنها تتقاطع في أكثر من مكان مع الحوار العربي/الغربي.

٢ -عدد المشاركين: فهناك حوارات فردية وأخرى جماعية.

٣ -الإعداد والتنظيم: فهناك حوارات مؤسساتية مجدولة يعد لها بشكل مسبق، و أخرى عفوية تلقائية تحدث دون ترتيب أو إعداد مسبق.

٤ -طبيعة الجماعة المنظمة للحوار: فهناك حوارات رسمية ترعاها مؤسسات دولية أو حكومية، و أخرى أهلية شعبية ترعاها مؤسسات المجتمع المدني. و أخرى شخصية يقوم بتنظيمها أفراد بجهدهم الخاص.[١]

فلكي يكون الحوار بين العرب و الغرب ناجعا لا يجب تفضيل أي نوع من الأنواع ولا يجب الاهتمام بأحدها على حساب البقية، و يجب أن يكون الحوار على الأسس التالية:

١ -الإيمان بالتعددية و قبول الاختلاف بين المتحاورين وما يمثلونه من ثقافات.

٢ -الإيمان بعدم إمكانية تطبيق معايير التفاضل والتراتب على الثقافات المختلفة، فليس من حق أية ثقافة أن تسم ثقافة أخرى بأنها دونية أو بدائية أو اقل تطورا أو متدهورة أو متخلفة أو رجعية.

[١] عماد عبد اللطيف، «استراتجيات التعايش و كفاءة الحوار بين العرب و الغرب»، متحصل عليه:
http://www.tafahom.com/index.php/nums/view/3/65

٣ -الإيمان بان الحوار ممكن على الرغم من الاختلاف حتى لو كان جذريا.

٤ -إيمان كل طرف أن الحوار هو اختيار استراتيجي حتى لو كان قادرا على القضاء على الطرف الآخر بالقوة؛ فالصراع لا ينتهي وغالب اليوم هو مهزوم الغد، أما الحوار فلا غالب ولا مغلوب فيه. بل تعايش وتنسيق واحترام متبادل.

ما يلاحظ على الحوار العربي الغربي أنه لا يملك هذه المبادئ بل هو أقرب الى الجدال، حيث لا يسمح بالتعايش بين الأفكار المتصارعة، ولا يحتمل التسويات بل ينتهي إما بانتصار أحدهما وهزيمة الآخر، أو بهدنة مؤقتة يحشد خلالها كل طرف "أسلحة جديدة" حتى يتمكن من نسف فكرة مخالفه في أول فرصة. ويرتبط بذلك ضرورة الوعي بأن الحوار العربي/الغربي لابد وأن يكون سلميا وخاليا من أي شكل من أشكال العنف، وخلو الحوار من العنف أمر ضروري، لأن العنف يؤذي المعتقدات العميقة للآخر ولا يمكن تخيل أن الحوار يخالطه العنف يمكن أن يؤتي أكله. كما أن فشل الكثير من الحوارات راجع إلى التعالي الذي يمثله بعض ممثلي الثقافة الغربية.

الحوار بين العرب والغرب هو حوار بين حضارتين كلتاهما عميقة الجذور، موغلة في القدم، لا ينقصها أسباب الفخر والاعتزاز؛ لكن الحوار الحضاري لابد أن يقوم على الشعور بنقص ما، فمن يظن أنه كامل في ذاته أبعد ما يكون عن الاتصال مع الآخرين. وقد أدرك روجيه غارودي ببصيرته النافذة أن حديث الغرب مع ذاته قد استمر زمنا كافيا، وأنه ربما آن الأوان لأن يسمع الآخرين [١]، ومن دون أن يدرك الغرب أنه يحتاج إلى العرب من أجل مستقبله هو سوف يكتب على الحوار بينهما أن ينتهي بلا شيء أو على الأقل أن يستمر في شكل تمثيلية سياسية إعلامية.

[١] روجيه غارودي، مرجع سابق. ص 106

بعد صعود دور العامل الثقافي في العلاقات الدولية، وانطلاقا من المفاهيم التي تم تناولها في الفصل الأول، بالإضافة إلى المنظورات التي تم التطرق إليها، سيتم في هذا الفصل التطرق إلى العلاقات العربية الأوروبية في ظل هذه المكونات وبالتزامن مع تلك المنظورات.

ومنه سيتم تقسيم هذا الفصل إل ى قسمين انطلاقا من فترتين بارزتين، الأولى هي العلاقات الأوروبية العربية في فترة الحرب الباردة، والفترة الثانية هي العلاقات الأوروبية العربية بعد الحرب الباردة، ومن ثم التعرف على عناصر الصراع في الجانبين، وانتهاء بعناصر التوافق وأهداف التقارب الثقافي. وهذا وفق تقسيم الفصل إلى:

- المبحث الأول التطور التاريخي للعلاقات الأوروبية العربية
- المبحث الثاني: عناصر الصراع الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية
- المبحث الثالث: عناصر التوافق في العلاقات الأوروبية العربية

المبحث الأول: التطور التاريخي للعلاقات الأوروبية العربية

عرفت العلاقات الأوروبية العربية تأرجحا بين الصراع والتعاون على مر التاريخ، إذ تعود للفترة الاستعمارية الأمر الذي جعل الدول العربية تميل إلى الجناح السوفياتي في فترة الحرب الباردة، كونه داعما لحركات التحرر ولحق الشعوب في تقرير مصيرها. وبعد انتهاء الحرب الباردة، وتفرد المعسكر الغربي بزعامة العالم لم تجد الدول العربية بدا من التعامل معه.

المطلب الأول: العلاقات الأوروبية العربية خلال الحرب الباردة:

تستند العلاقات الأوروبية العربية إلى خلفيات تاريخية ربطت هذين الإقليمين تعود في الأساس إلى التقارب الجغرافي و الإرث الاستعماري حيث في هذه الفترة كانت البلدان العربية إما تحت الاستعمار الأوروبي أو حديثة الاستقلال. و قد خضعن هذه العلاقات إلى طبيعة النظام الدولي السائد آنذاك و التجاذبات بين المعسكرين الشرقي والغربي.

وانقسام أوروبا إلى نصفين شرقي بزعامة الاتحاد السوفياتي و غربي بزعامة الولايات المتحدة. حيث عرفت العلاقات الأوروبية العربية ميلا نحو دول أوروبا الشرقية كداعمة كحركات التحرر في مقابل دول غرب أوروبا و التي شكلت الدول المستعمرة.

حيث عمل السوفيات على استغلال نقمة شعوب المستعمرات على الدول الاستعمارية الرأسمالية فقاموا بمساعدة حركات التحرر في المستعمرات ماديا ومعنويا من أجل إضعاف الدول الرأسمالية الاستعمارية من جهة، وأملا في كسب تلك الشعوب بعد استقلالها في صف المذهب الشيوعي من جهة أخرى.

من هنا بدأ اهتمام أوروبا بالوطن العربي الذي أملته ثلاثة أسباب رئيسية أولها: الوجود السوفياتي في المنطقة العربية، وثانيها: تطورات الصراع العربي الإسرائيلي و ثالثها:المصالح الاقتصادية وعلى رأسها المصالح النفطية. إن هذه الاعتبارات التي دفعت أوروبا إلى تبني سياسة عربية تأثرت بأجواء الحرب الباردة و الصراع الدولي بين الشرق و الغرب. ولم تبد أوروبا اهتماما للقيام بدور سياسي أساسي ما عدا العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 كما لم تستطع أوروبا تضع سياسة فعالة تجاه المنطقة العربية التي فتحت أبوابها للشرق و الغرب حتى عام 1967 حيث مثل ذلك مرحلة تطور جديد في علاقة أوروبا بالوطن العربي.

[1]

لقد أبرز عدوان 5 جوان حيوية المصالح الأوروبية الإستراتيجية و الاقتصادية في المنطقة و بخاصته في ضوء إغلاق قناة السويس و انعكاساته على الاقتصاد الأوروبي. و في ضوء تزايد الوجود السوفياتي في حوض البحر الأبيض المتوسط في المناقشات حول المشكلة التي تهدد التحالف الغربي في المنطقة الجنوبية و جاءت حرب 1973 لتعبر عن نقطة تحول في اهتمام الدول الأوروبية بقضايا المنطقة. إذ تم ربط الاقتصاد بالسياسة و أصبح للنفط معنى سياسي كبير.

لقد كان طبيعيا و منطقيا لسياسة الغرب النظر إلى منطقة الشرق الأوسط، لحكم موقعها الجغرافي و مواردها الاقتصادية و خاصة البترول.

منطقة تخدم سياسة توازن القوى المرسومة، و تشكل حلقة رئيسية فيها، و لذلك كان توازن القوى يتطلب من القوى الغربية:

[1] علي مفلح محافظة، العرب والعالم المعاصر، رام الله: دار الشروق، 2009. ص 137-139

١) السيطرة على هذه المنطقة و إخضاعها لنفوذها ضمانا للمحافظة على مصالحها الاقتصادية و أهمها البترول.

٢) إنشاء حلف يضع دول المنطقة لتكمل حلقة الحصار المضروبة حول الاتحاد السوفياتي.

و سعى الغرب إلى وسائل معينة لتحقق أهداف إستراتيجية في الشرق الأوسط كان أهمها:

- تحطيم القوى القومية الموجودة في المنطقة و التي تمثل أكبر خطر يهدد مشروعاته على رأسها القومية العربية.
- منح الاستقلال لدول المنطقة في الإطار الذي لا يتعارض و المصالح الغربية حتى لا تسبب هذه الدول إزعاجا مستمرا للغرب و تقف في طريقه.
- إدخال إسرائيل منذ عام 1948، عاملا أساسيا في توازن القوى داخل منطقة الشرق الأوسط. و العمل من طريقها أما إلى ازدياد الخلافات العربية إذا ما اقتضت المصلحة ذلك، أو التظاهر بالوحدة إذا ما حتمت ذلك الظروف و لكن المطلوب في كل الحالتين، ألا تجور قوة عربية على أخرى. و ألا يتوافر الاستقرار في هذا الجزء من العالم.[١]

لم يكن من السهل على الغرب تحقيق ما تقدم من أهداف لأنه واجه عدة عقبات رئيسية نوجزها فيما يلي:

١) قيام حركات التحرر من جانب الشعوب العربية للتخلص الكامل من سيطرة الاستعمار البريطاني و الفرنسي. إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية، و قيام الأمم المتحدة و كان التيار القومي الذي اكتسح المنطقة جارفا، و أقوى من أن تتجاهله بريطانيا و فرنسا، وولد هذا

[١] صدام مرير الجميلي، الاتحاد الأوروبي ودوره في النظام العالمي الجديد، بيروت: دار المنهل اللبناني،2009. ص ص 16-19

بالضرورة الشعور بعدم الثقة في أي مشروعات يقدمها الغرب و ارتبط ذلك شعور من التحدي و العناد. ظهرت آثاره في أن الاستعمار الذي تشله بريطانيا و فرنسا، أصبح العدو الأول الشعوب تلك الدول و لم يكن من الممكن إقناع الشعوب العربية بأن هناك عدوا آخر و هو الاتحاد السوفياتي يهددها، و أن من مصالحها التحالف مع الغرب عليه.

٢) قيام ثورة 29 أوت 1952 في مصر و أثرها في قضيتين رئيسيين:

الأولى: بعد القومية العربية بين شعوب المنطقة، و أصبحت اتجاها قوميا واضح المعالم يتطلع إلى تحرير الوطن العربي من كافة ما يقيده، و يستهدف تحقيق الوحدة العربية في إطار من الاستقلال الكامل عن كل ما يجد حرية العمل المصري.[١]

الثانية: أن مصر اتخذت منذ قيام الثورة اتجاها جديدا في سياستها الخارجية يقوم على الحياد الايجابي بين المعسكرين، على أساس عدم وجود مصلحة لدول الشرق الأوسط في الدخول في ميدان الصراع الدولي، وفي الانضمام إلى إحدى الكتلتين، وجاء مؤتمر باندونغ ليؤكد تصميم مصر على انتهاج هذه السياسة و نجاح تطبيقها. و كان لذلك صدام بين الشعوب العربية التي رأت للمرة الأولى اتجاها سياسيا ذاتيا يبرز في المنطقة، و بدأت تدرك مدى ملائمة هذا الاتجاه السياسي لأوضاعها و تحقيق مصالحها.

٣) المشكلات السياسية القائمة في المنطقة و على رأسها إسرائيل، و قد خلقها الغرب، و تولى بعد ذلك تأييدها و مدها بأسباب الحياة. و أدى ذلك إلى ازدياد حدة الصراع بين الشعوب العربية و الغرب. و صارت المعركة محتدمة بين القومية العربية و قوى الاستعمار و ازداد الشعور العدائي للغرب.

[١] جمال الشلبي، العرب وأوروبا رؤية سياسية معاصرة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000. ص 80

٤) المشكلات الأخرى مع الغرب، و كان على رأسها الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا و الاستعمار البريطاني في الجنوب العربي، و القوات العسكرية في المنطقة، و الاحتكارات الغربية القائمة، و مشكلة قناة السويس و التي تمثلت في الرفض التحكمي لمطالب الحكومة المصرية المعتدلة.[١]

كل هذه المتغيرات بعثت بضرورة الحوار العربي الأوروبي و الذي كان نتيجة منطقية لتفكير نخبة من المثقفين و في مقدمتهم المفكر و السياسي الفرنسي «أندريه ماكرو » عام 1971. ولم يخرج الموضوع إلى حيز الوجود إلا في أعقاب حرب أكتوبر 1973 فقد كان لهذه الحرب العديد من التأثيرات على الجانبين العربي و الأوربي كما كان لها العديد من الدلالات بالنسبة للجابين فقد أدرك الجانب العربي أن دول أوروبا هي مركز التحول العاجل لدعم إسرائيل عسكريا و اقتصاديا، فالقواعد العسكرية الأمريكية في أوروبا كانت مركز الانطلاق للجسر الجوي الذي أقامته الولايات المتحدة الأمريكية لدعم إسرائيل خلال الحرب. و على الرغم من الموقف المؤيد علانية لإسرائيل من قبل الغرب، إلا أنه وجد بعض الدول الأوروبية التي رفضت استخدام أراضيها لهذا الجسر. و هو موقف شجعته الدول العربية.

أما بالنسبة لأوروبا، فإن منطقة الصراع في الشرق الأوسط تشكل هي إستراتيجيا لها. و عاملا مؤثرا على الأرض الأوروبي بصفته الأقرب للمنطقة. كما أن نشوب حرب في هذه المنطقة بشكل تهديدا حقيقيا للمصالح الأوروبية. خاصة مع بروز مثل هذه التخوفات و الشكوك بعد قرار الدول العربية بحظر تصدير البترول إلى بعض الأقطار الاوروبية، و هو ما أثار الذعر في أوروبا التي تعتمد على النفط العربي.

[١] جمال الشلبي، مرجع سابق. ص ص 82-86

فإذا أخذنا بعين الاعتبار احتياطات الدول العربية النفطية إضافة إلى الأهمية المتزايدة للغاز الطبيعي العربي بالنسبة لأوروبا. ندرك الأهمية التي تعلقها أوروبا و العالم العربي على هذه السلعة الإستراتيجية للطرفين: فأوروبا تسعى إلى تأمين إمدادات النفط العربي بشكل منظم و مستمر و الدول العربية تعي جيدا أهمية النفط كمصدر للثروة و أساس للتنمية. و للحصول على العاملات الأجنبية الصعبة. و هنا تتجلى «نظرية المصالح» في العلاقات.

لقد بدأ الحوار على صعيد الخبراء أولا عام 1975 في ثلاثة اجتماعات عقدت في القاهرة و روما و أبو ظبي. ثم بدأ الحوار على صعيد لجنة عامة على مستوى السفراء عام 1976. حيث استكمل الحوار إطاره التنفيذي، و تبلور له مفهوم شامل و كحوار حضاري تتكامل جوانبه السياسية، الاقتصادية و الثقافية، كما تحددت مجالات النشاط و آليات سير العمل فيه. و تم إعطاؤه شكلا مؤسسيا من خلال أجهزة رسمية. معترف بها من قبل الطرفين، و قد شملت أهداف الحوار دوائر مختلفة لكنها في نهاية المطاف متكاملة، و هناك ثلاث دوائر لها أهمية كبرى في هذا الحوار هي:

- الدائرة السياسية: تتمثل في المطالبة بمساندة دولية في نطاق العلاقات الدولية.
- الدائرة الاقتصادية: و تدور حول نوع من المقايضة في الجوانب الاقتصادية.
- الدائرة الثقافية و الحضارية: و تتمثل في نقل التكنولوجيا، و البحث عن مشتركات تاريخية بين العرب و أوروبا.[1]

[1] يسين بللوي، «حوار الحضارات كأحد المرتكزات الثقافية للنظام الدولي مابعد الحرب الباردة»، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2002 . ص 131

لقد كان هناك تباين في الآراء حول الدائرة الأخيرة بين الجانبين. فالسياسة البريطانية تهدف من وراء الحوار إلى عودة نفوذها في المنطقة و لاسيما شرق قناة السويس، أما فرنسا فتريد أن تعيد نفوذها في شرق إفريقيا، وأما السياسة الألمانية فترغب في إعادة تواجدها في منطقة الهلال الخصيب.

المطلب الثاني: العلاقات الأوروبية العربية بعد الحرب الباردة:

مع بروز المتغيرات الدولية الجديدة المتمثلة في انهيار الاتحاد السوفياتي و انحصار الشيوعية عن دول شرق أوروبا و تربع الولايات المتحدة على قمة الهرم الدولي بوصفها قطبا أو حدا، و مع مضي أوروبا قدما نحو تحقيق وحدتها، و التغير الذي طرأ على العديد من المفاهيم مثل: القوة، السيادة، الصراع، ...الخ و مع انتشار فكرة التكتلات الاقتصادية و بروز ظاهرة العولمة. عرفت العلاقات الأوروبية العربية بعدا جديدا.

إن التغير الذي طرأ على النظام الدولي و بروز النظام الدولي الجديد و ما تلي ذلك من تغير في طبيعة الصراع و تراجع السيادة الدولية في مقابل بروز الجماعات، و انتشار النزاعات العرقية ذات البعد الهوياتي و التي أصبحت أساس الصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة و إذ خلق انهيار القطبية الثنائية تغيرات جذرية في مضمون و مصادر الصراعات التي كانت قائمة أثناء الحرب الباردة، و التي تميزت باحتواء و تكييف مختلف الصراعات الدولية و الإقليمية وفقا للصراع المركزي بين القوتين العظمتين و هذا ما أدى إلى تحل شامل لظاهرة الصراع في البيئة الدولية، فهي بصدد اكتساب هويات جديدة في إطار ما أصبح يسمى "باللانظام الدولي الجديد"، حيث ثمة انفلات للأوضاع عن مسارها الطبيعي و تحول شامل لمجموعة من المبادئ و المفاهيم التي تضبط مسار العلاقات الدولية (مفهوم السيادة، و مفهوم حق الشعوب في تقرير

المصير، مفهوم حقوق الإنسان ...) و هذه المرحلة هي فترة الانفجارات القومية و الاثنية و الدينية التي شهدتها أوروبا الشرقية و آسيا الوسطى، والحروب الأهلية الطائفية في عدة مناطق من العالم.[1]

في ظل افتقار أوروبا لنظام أمني يتوافق مع الأوضاع في مرحلة ما بعد الحرب فإن الدول الأوروبية ترى أن هناك ضرورة للاستعداد للتوسع في إجراءات الدفاع المشترك و الجماعي في إطار الحلف الأطلسي بحيث تشمل تلقائية المناطق التي تتضمن أسباب نزاعات كامنة و المتوقع نشوبها في المستقبل القريب و يمتد ذلك ما وراء الحدود الشرقية للحلف الأطلسي. و يرى الغرب عموما أن هناك قوسين للأزمات:

أولهما القوس الشرقي: الذي يبدأ من الجنوب و يمر عبر تركيا و منطقة القوقاز ثم يمتد إلى ألمانيا و غربي روسيا حتى يصل إلى شمالي أوروبا. [2]

ثانيهما القوس الجنوبي: الذي يبدأ من شمالي إفريقيا بدءا بالمغرب و مرورا بالسواحل الشمالية للبحر المتوسط، و كلها مناطق حيوية للأمن الأوروبي، ثم يعبر من منطقة الشرق الأوسط، حتى يصل إلى باكستان و حدود الهند في جنوب غربي آسيا.

شهد هذا القوس نشوب أكبر عدد من الحروب الإقليمية و أكثرها عنفا مثل جولات الصراع العربي/الإسرائيلي و الحروب بين الهند و باكستان، و الحروب في الخليج العربي، فمن ناحية النزاعات المحلية في منطقة القوسين التي غالبا ما تتحول إلى استدراج أكثر من قوة كبرى أو قوة عظمى لصالح هذا الطرف أو ذاك، و من ناحية أخرى فإننا نجد الصراعات و النزاعات

[1] محمد السعدي، مرجع سابق. ص 88

[2] هشام صاغور، السياسة الخارجية للإتحاد الأوروبي تجاه دول جنوب المتوسط ، الاسكندرية: مكتبة الوفاء القانونية.2010. ص 65-74

المحلية التي تظهر من إيديولوجيات يعدها الغرب معادية له و للقيم الغربية المتمثلة في الديمقراطية و الليبرالية، بالإضافة إلى ذلك فإن الصراعات و النزاعات في مناطق قوس الأزمات يحتمل أن تؤدي إلى انعكاسات سلبية على الدول الأوروبية الأعضاء في الحلف الأطلسي و ذلك على شكل موجات هجرة جماعية أو انهيارات اقتصادية و سياسية و هذا ينطوي على خطورة من وجهة نظر الغرب، و يتطلب العمل على احتوائه في وقت مبكر قدر الإمكان. وذلك خوفا من إحياء الخلافات القديمة بين الدول الأوروبية إذ ربما يزداد اتساع نطاق المواجهة بين الحضارة الغربية في أوروبا الحضارة الإسلامية و هذا ما تنبأ له صامويل هنتنغتون في أطروحته. و يرى بعض المراقبين الغربيين أن العالم العربي وبخاصة دول المغرب العربي مقبل على أزمة اقتصادية و أزمة سياسية؛ إذ تسبب الأعداد الكبيرة من العمالة الزائدة التي لديها رغبة في الهجرة إلى دول أوروبا الغربية قلقا شديدا لهذه الدول و بينما يتواكب ذلك مع عودة ظاهرة للقيم التقليدية و بصفة خاصة القيم الدينية فإن مخاوف أوروبا تتزايد إلى حد كبير.[1]

إن العالم الجغرافي لكلا الطرفين، و توزع القوى الفاعلة على ضفتي البحر الأبيض المتوسط و الموقع الجيوسياسي و الجيواقتصادي للدول العربية قد أعطى اندفاعا أوروبيا إضافيا باتجاه تكوين و تطوير أطر تساهم في تثبيت و تمتين العلاقات مع الدول العربية؛ و قد عقدت العديد من مؤتمرات على مستويات وزارية تمخض عنها اتفاقيات. و بروتوكولات تعاون عديدة في مجالاتها و غاياتها، إلا أن النصف الثاني من عقد التسعينات قد شهد تطوعا في مسار العلاقات العربية – الأوروبية عبر اتجاهات مختلفة عما سبقها، إذ برزت بمفاهيم و أحداث جديدة تمثلت بتركيز العلاقات من ضمن إطار أوروبي– متوسطي، أي بمعنى آخر إدخال عناصر إضافية في العلاقة التي شملت أيضا دول تعود خلفية هذا الإدخال المتجدد إلى ظروف

[1] سعد حقي توفيق، علاقات العرب الدولية في مطلع القرن 21، عمان: دار وائل .2003.ص ص 149،150

تلك المرحلة من المفاوضات العربية – الإسرائيلية التي تعقدت على المسارين اللبناني و السوري ومحاولة إسرائيل آنذاك تقديم المفاوضات المتعددة الطرف على الثنائية. فكانت الشراكة الأوروبية. المتوسطية مخرجا لتعقد مفاوضات السلام العربي– الإسرائيلي. [1]

فمنذ إعلان برشلونة 1995 و الاتحاد الأوروبي و الدول العربية سعيا إلى إحراز تقدم في موضوع الشراكة الأوروبية–المتوسطية التي تختصر بكلمة –EUROMER– التي تضمنت مجالات سياسية واقتصادية و أمنية و اجتماعية و مالية و ثقافية و إنسانية، بهدف التوصل إلى الرفاه و السلام و التبادل التجاري الحر بين دول الاتحاد الخمسة عشرة و دول البحر المتوسط الإثنتي عشرة، الأولى تضم (ايطاليا البرتغال، النمسا، اسبانيا، فرنسا، بلجيكا، اللوكسومبورغ ألمانيا، هولندا، ايرلندا، بريطانيا، الدانمرك، السويد والنرويج، فنلندا) فيما تظم المجموعة الثانية ثماني دول عربية هي (مصر، تونس، الجزائر، المغرب، الأردن، لبنان، سوريا و السلطة الفلسطينية) أما الدول الأربع الأخرى هي (إسرائيل، مالطا، قبرص و تركيا). وعلى الرغم من أن ليبيا دولة متوسطية فقد استبعدت لأسباب الحصار المفروض عليها فيما موريطانيا الدولة غير المتوسطية تدعى للاجتماعات بصفة مراقب.

و قد تجلت الشراكة الأوروبية–العربية بمسارين، الأول ثنائي و الآخر إقليمي

– المسار الثنائي: و ينطلق من مبدأ تقدم كل دولة باتفاقات مع الدول الأوروبية في إطار "ميدا" (NATIONAL INDICATIVE PROGRAM).

[1] زياد شفقان الضرابعة، الإتحاد الأوروبي والقضية الفلسطينية من مدريد إلى خارطة الطريق، عمان: دار حامد للنشر والتوزيع، 2011. ص ص 55–57

– المسار الثاني: و ينطلق من مبدأ إقليمي عبر التعاون السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي في مقابل برامج إقليمية تستأثر بـ 14% من تمويل برنامج "ميديا" (REGIONAL INDICATIVE PROGRAM).

إن المدقق في إعلان برشلونة يظهر له ثلاثة أبعاد أساسية؛ مبدأها التعاون و التواصل وأهدافها الرخاء والسلام وهي: الشراكة السياسية والأمنية والشراكة الاقتصادية والمالية، والشراكة الاجتماعية والثقافية.

إلا أن غزو العراق للكويت في 1990/08/02 وما تلاه من أحداث وقتال بما عرف بحرب الخليج الثانية كان يعد علامة فارقة في العلاقات العربية الأوروبية كان الغزو مفاجأ للعالم كله وبالنسبة للدول الغربية مسألة في غاية الخطورة لأنها تتصل بمصالحها الحيوية الإستراتيجية ولاسيما تأمين تزويدها بالنفط والغاز دون أي عائق، ناهيكم عن الأهمية الإستراتيجية للمنطقة العربية بعامه ومنطقة الخليج بخاصة.

حدث الغزو في فترة حرجة من تاريخ العالم، مع بداية انهيار الاتحاد السوفياتي و تهيؤ الولايات المتحدة الأمريكية لقيادة العالم في عهد جورج بوش الأب. وقامت دول الجماعة الأوروبية بدورهم في حث الولايات المتحدة و مساندتها للقيام بعملية عسكرية لإخراج القوات العراقية من الكويت. و قادة بريطانيا بزعامة رئيسة وزرائها "مرغيت تاتشر Margret Thatcher" الجماعة الأوروبية. وحرضت الولايات المتحدة على إعداد الحملة العسكرية المتعددة الجنسيات من أجل هذا الهدف.

فرضت الجماعة الاقتصادية الأوروبية حضرا تجاريا و اقتصاديا كاملا على العراق.

وقامت وزارة الخارجية البريطانية بإعداد خطط لفرض حصار بحري على شمال شرق البحر

المتوسط و البحر الأحمر و شمال الخليج لإيقاف ناقلات النفط العراقي و الكويتي. و سعت تاتشر إلى إقناع بوش و وزير خارجيته جيمس بيكر بأن القيادة الأمريكية للعالم أهم بكثير من القانون الدولي و هيأة الأمم المتحدة و شجعتهما على عدم اللجوء إلى مجلس أمني و الاكتفاء باستناد إلى المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة. و ساهمت في إقامة تحالف عربي واسع و قوي ضد العراق و السعي في إسقاط حكم صدام حسين.

أما فرنسا فكان يقودها آنذاك الزعيم الاشتراكي فرانسوا ميتران الذي يقول أنه رأى منذ البداية أن الحرب على العراق لا محيد عنها، لأن الأمريكيين يريدونها، ولأن الإسرائيليين يتمنونها، لاعتقادهم بأن تدمير القوة العسكرية العراقية سيضمن لإسرائيل عشرين سنة من السلام.

أما ألمانيا الاتحادية، التي كانت مشغولة جدا بأمور وحدتها فقد استجابت لطلب وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني في 20 أوت 1990 بتقديم التجهيزات العسكرية الضرورية للحملة العسكرية، و الأموال، وامتنعت عن إرسال قوات مسلحة ألمانية بحجة أن الدستور الألماني لا يسمح بذلك.[1]

شنت الولايات المتحدة و بريطانيا و حليفاتهما الحرب على العراق واستطاعت قواتها إتمام احتلال العراق في 2003 بسرعة أثارت دهشة العالم. مثلما أثارت تساؤلات كثيرة في داخل الاتحاد الأوروبي نفسه. فقد اعتقد بعض الساسة الأوروبيين أن الأمريكيين قد فازو بالعراق و الشرق الأوسط كله. و اتسعت الهوة بين الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي.

[1] علي مفلح محافظة، مرجع سابق. 158-163

المبحث الثاني: عناصر الصراع الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية

على الرغم من التأرجح في العلاقات الأوروبية العربية، إلا أن سمة الصراع هي الغالبة وقد اتسم الصراع بعدة صبغات فقد كان هوياتيا إذ طبعت العلاقات بالصراع المذهبي العقائدي في إطار الهوية العربية مقابل الهوية الأوروبية، وكذا طابعا دينيا بدءا بالحروب الصليبية والفتوحات الإسلامية، وأحيانا أخرى بصفة حضارية على أساس الحضارة الغربية في مواجهة الحضارة العربية الإسلامية. وفي المبحث الموالي سنتطرق لكل هذه الأبعاد في العلاقات الأوروبية العربية.

المطلب الأول: البعد الهوياتي في العلاقات الأوروبية العربية:

تنطوي الصراعات الهوياتية، الدينية أو المذهبية أو الإثنية ، أي التي لم تنبثق من الاختيارات والمصالح الفردية والجمعية، على مفارقة حادة وغريبة، بكونها أكثر الصراعات التي تشتد فيها العداوات وتسفك في سبيلها الدماء ويخرب العمران، على رغم أنها تنتمي إلى صراعات الزمن الماضي.

يتأتي مصدر هذه المفارقة من كون الصراعات المذكورة تتمحور غالبا على ما هو موروث، و ليس على ما هو مكتسب، باعتبارها تدور حول قضايا و مشكلات ليس للمتصارعين رأي في اختيارها، و لإسهام في إنتاجها. فمثلا لا يختار المرء والديه أو اسمه، فهو ليس له أي فضل أيضا. في اختيار دينه أو مذهبه أو لغته أو بلده أو قوميته. و المعنى أن أي شخص يمكن أن يكون الآخر، الذي يعاديه، أو يكرهه. هذا يصح مثلا على الفرنسي و الروسي

والصيني والعربي والكردي والأرميني، كما على الهندوسي والبوذي والمسيحي والمسلم واليهودي أيا كان المذهب، إذ لا أحد من هؤلاء اختار قوميته أو دينه أو مذهبه.

إلا أن الأمر في العصر الحديث لم يختلف كثيرا، إذ نشأت فيه أيضا صراعات إيديولوجية، اتخذت شكل الصراعات الهوياتية التي تنمط، و تختصر، الذات و الآخر، و إن اكتست بصبغة عقلانية، و اتسمت بنزعة اختيار. هكذا أنشأت العصبيات حول الايديولوجيات والأفكار الكبرى، كالعلمانية الليبرالية و القومية و الفاشية و الشيوعية من كل تنويعاتها. [1] و التي باتت هي الأخرى بمثابة "أديان" جديدة على ما يرى "كرين برينتر" في كتبه (تشريح الثورات) بقوله « يرى الماركسي أن القول بوجود جوانب تشبه سلوك الخاضعين للتأثير المعترف به للدين يثير سخطه كثيرا...لقد حققت الماركسية بوصفها عقيدة القدر الكثير. أما الماركسية بوصفها نظرية علمية فلم تذهب أبعد من كتاب (رأس المال) و المجلات العلمية».

لقد بدأت الحضارة الغربية في القرن العشرين محاولات غزوها للدول الإسلامية و أصبح تأثير خصائصها و أبعادها المختلفة واضحا على جميع الأبعاد اليومية للمجتمع العربي المادية والمعنوية وكان من معالم هذا التأثير ظهور تيارين فكريين في التجمعات الإسلامية، التيار الأول يدعو إلى الإقتداء بالغرب و رفض الآداب و السنن و التقاليد القديمة، فيما يتشكل التيار الثاني للعناصر المتدينة الملتزمة و يدافع على القيم الإسلامية و عن الآداب و السنن القديمة. وفي مقابل هذين التيارين هناك تيار ثالث ينطلق على أساس نظرية تقارب التيارات الفكرية فيسعى إلى الجمع بين النقاط الإيجابية بين تياري القديم والحديث وإيجاد التعايش السلمي بينهما، وهناك إشكاليات حقيقية تعيشها المجتمعات العربية وتلقي بآثارها السلبية على تطور الفكر والفلسفة

[1] رشا عدنان محمد مبيضين، «دور الارهاب في إعادة صياغة العلاقات العربية–الاوروبية (1990–2006) »، رسالة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة مؤتة، 2007. ص 36

العربية المعاصرة. كما تواجه الأمة العربية أزمة فكرية لا يمكن فصلها عن أزمة الوقع العربي نفسه موضوعيا و تاريخيا، أزمة التخلف و التبعية، و أزمة العلاقة بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي، و أزمة الهيمنة الخارجية الاستغلالية لمنطلقات التنمية الاجتماعية و الثقافية و القومية و هي في النهاية أزمة فكر نظري نتيجة الأزمات المتداخلة و فقدان الرؤية الإستراتيجية الشاملة لتغيير الواقع و تجديده.

إن الهوية لأي أمة تقتضي عددا من العناصر منها

- وجود تراث روحي–مادي يشعر كل فرد أنه جزء منه، و أنه مكون له في الوقت نفسه.
- انتماء إلى ثقافة معينة يشعر كل فرد بالوجود ضمن إطارها، و بالتوحد معها وبالمشاركة فيها، و بالحرية ضمن أجزاءها.
- وجود شخصية اجتماعية محددة تربط أفراد الأمة بعضهم ببعض في لغة واحدة، عادات و تقاليد متشابهة، و منظومة من القيم الروحية و الأخلاقية الجماعية واحدة.

و بهذا كان فكر الأمة العربية قوام شخصيتها و المعبر الأصيل عن تطلعاتها و الدعامة الحقيقية لوحدتها الشاملة[1].

وقد لاحظ الباحثين من خلال قراءات كثيرة للعديد من الكتب و الأبحاث في الأدبيات الثقافية العربية، أن مفهوم الهيمنة مفهوم واسع و يشمل عدة مجالات و من بينها الهيمنة الثقافية، و الكثير منهم يستخدم مفهوم الهيمنة مرادفا لمفهوم (الغزو) و من هنا فإننا نلاحظ شيوع مفهوم (الغزو الثقافي) في الأدبيات الثقافية أكثر من مفهوم الهيمنة الثقافية. فالهيمنة تعني فرض

[1] موسى الزغبي، دراسات في الفكر الإستراتيجي و السياسي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001. ص 189

ثقافة معينة من المتسلط على المتسلط عليه بشكل ظاهر أو خفي. و يمثل الشكل الظاهر من الهيمنة ما قام به الاستعمار الغربي عند احتلاله لشعوب العالم العربي، و حاول فرض لغته و ثقافته و أنماط تفكيره و القضاء على هويته العربية و يظهر ذلك جليا في الاستعمار الفرنسي للمغرب العربي الذي حاول (فرنسته).

أما الشكل الخفي من الهيمنة الثقافية فيبرز في خطط الاستعمار الإستراتيجية طويلة المدى، و نضرب مثال على ذلك ما قام به الاستعمار الانجليزي في مصر.

وفي الجانب المقابل المتمثل في التخوف الأوروبي على الهوية الأوروبية من التواجد العربي في القارة فليس وليد اليوم، بحيث أن وجود العرب و المسلمون في الغرب لم يكن صدفة، وإنما حدث ذلك نتيجة عوامل شتى أهمها حاجة الغرب إلى اليد العاملة، التي سوف يستوردها من العالم العربي لتؤدي بعض الأدوار التي لا يتوفر لدى المجتمع الغربي من يقوم بها. أو لا يرضى الغربي بأدائها، أو أن شيخوخة ذلك المجتمع و هرمه تلح عليه التفتيش عن سواعد شابة و فتية تعوض ذلك النقص الناتج عن تلك الوضعية و هو ما يميز العالم العربي الذي يمثل أكثر من 70% منه شباب. و هذا و إن دل على شيء فإنه يدل على أن وجود المسلمين في الغرب ليس شيئا طارئا أو مؤقتا، يمكن أن يسمى ظاهرة عارضة أو سحابة صيف عابرة ، و إنما وجود نوعي ينبئ بأنه سوف يمتد و يترسخ. و سوف يجعل من المسلمين و بالتحديد الأجيال الصاعدة التي ولدت في المهجر – مع مضي الوقت– شبه سكان أصليين. هذا ما جعل الغرب ينظر إلى

هذه الجاليات بعين الريبة و التخوف من استمرار هذا الوجود الذي أصبح يشكل تهديدا للهوية الأوروبية.[1]

المطلب الثاني: البعد الديني في العلاقات الأوروبية العربية:

لعبت الأديان تاريخيا دورا بارزا في العلاقات الدولية و حتى وقتنا الحاضر، عبر محوريتها في بزوغ الحضارات و الثقافات العالمية و في رفد الأفكار الشمولية الكبرى، كما أنها تركت آثارا عميقة في علاقات الشعوب و الأمم، و سبب من تسرب الدوافع الدينية لدى قادة الدول. كان الدين حاضرا في العديد من الصراعات و النزاعات العنيفة على امتداد تاريخ العلاقات الدولية ساهم في إشعال الحروب و الثورات التي اكتست الطابع الديني في تأكيد قيامها و شرعيتها.

أوروبا هيا الأخيرة عادت لواجهة الحروب الدينية من جديد مع نهاية الحرب الباردة، فقد عاشت منطقة البلقان مواجهات دموية بين مسلمي البوسنة و الصرب و الكروات في 1995، في النزاع اندلع على خلفيات دينية تسعى فيها الصرب و الكروات المسيحيين لإبادة المسلمين و المذابح الجماعية التي قام بها الصرب و الكروات ضد المسلمين و صمت الغرب عن هذه الجرائم الأسس الدينية التي حددت بأوروبا و الولايات المتحدة إلى عدم التدخل إلا في وقت متأخر رغبة في يلاقي وجود مسلمين في هذه المنطقة التي تعتبر الدفاع الأول ضد المسلمين. و هو ما أثار توترا في علاقة الغرب بالمسلمين.

[1] التجاني بولعوالي، المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع و تحديات المستقبل، المغرب: افريقيا الشرق، 2010. ص ص 29-31

في الوقت الذي يشهد فيه العالم ثورة علمية و معرفية هائلة، يشير العديد من المحللين و الباحثين إلى العودة القوية للأديان و هذا ما جعل الكثير يتنبؤون بأن القرن الواحد و العشرين سيكون قرنا دينيا بامتياز. و العودة القوية للظاهرة الدينية لا يمكن النظر إليها كبعد ظرفي شاذ قابل للتراجع في كل لحظة بل أن هذه الصحوة الدينية نابعة من صميم الواقع التاريخي الإنساني ووجوده حاسم في الثقافات و الحضارات و الانعطافات التاريخية الكبرى[١].

إن موضوع العلاقة بين الإسلام و الغرب و أسباب العداء المتصاعد و الريبة الغربية تجاه الإسلام من أهم أسباب الخوف غير المبرر عند الغربيين تجاه الإسلام. وقد انطبعت هذه العلاقة بشكل عنيف من خلال الأحداث التاريخية حيث يزخر التاريخ بسلسلة لا تنتهي من الخبرات غير السارة التي اتخذت طابعا دمويا في كثير من الحالات ، التي كرست النظرة المرتابة بل العدائية من جانب الغرب حيال الإسلام والمسلمين ومن بينها التحولات الجذرية التي عرفتها المنطقة العربية في السبعينات من القرن العشرين. من تلك التحولات نتائج الحرب العربية–الاسرائيلية 1973 والحظر النفطي العربي المتأتي من ذلك، والثورة الإيرانية سنة 1979، وأزمة الرهائن الأمريكان في طهران وتداعياتها الإقليمية والدولية.

فضلا عن الكتابات الفكرية الأوروبية والغربية عموما التي ركزت على أن الإسلام عدو الغرب، بل وصل الأمر بصامويل هنتنغتون صاحب نظرية صدام الحضارات إلى القول: بأن (الإسلام هو العدو المستقبلي للحضارة الغربية)، وإن للحضارة الإسلامية (حدودا دموية). [٢] وهذه الدراسة جاءت كأول دراسة غربية تضع الإسلام إطارا للخوف بشكل عملي وعميق من الناحية

[١] محمد السعدي. مرجع سابق. ص ص 79–91.

[٢] فائز صالح محمود اللهيبي، إشكالية الخوف من الإسلام ISLAMOPHOBIA بين الرؤية الغربية والواقع الإسلامي، حلب: دار النهج، 2009.ص ص 77، 78

الأكاديمية والاستراتيجية. إذ اقتضى وضع الخطر الإسلامي في مواجهة حتمية مع الغرب، وكعدو أول بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

هناك العديد من الإشكالات التي تقف وراء سوء وتردي التمثيل الإسلامي في الغرب رغم أن الجالية المسلمة التي تعيش في أوروبا تقدر بالملايين، ورغم أن الدين الإسلامي كما أرساه الرسول (ص) يملك كل الإمكانات والأخلاق التي بتحقيقها سواء في الفرد أو المجتمع يتحقق حسن الظن والقبول بذلك الدين من قبل الغير.[1] إذ يدعو إلى التعامل بالحسنى مع سائر البشر، وإن كانوا غير المسلمين وخير ما يجسد هذا الشق من علاقة المسلمين بغيرهم هما الآيتان الكريمتان 8 و 9 من سورة الممتحنة، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ۞ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾[2] إن هذا النص القرآني يمثل دليلا قاطعا على أن علاقة المسلم بغير المسلم أمر مطلوب، إذا كان ذلك لا يسيء إلى العقيدة الإسلامية في شيء.

وقد رسم الغرب صورة عن الإسلام و وصفه بالدين الدموي الذي لا يمكن أن يقترن إلا بالعنف والتخلف والإرهاب. فالإسلام هو أكثر الديانات التي أسيء فهمها وبتعمد، وذلك عائد في تقدير بعض الكتاب والباحثين إلى ثلاثة أسباب:

الأول: الاستحضار التاريخي للحروب الصليبية والنتائج التي آلت إليها والتي انتهت بهزيمة الغزاة الغربيين.

[1] التجاني بولعوالي، مرجع سابق. ص38

[2] القرآن الكريم، سورة الممتحنة، الآية (8،9) ،دمشق: مطبعة الثريا،1430هـ. ص550

الثاني: المرحلة الاستعمارية الحديثة التي رافقها بروز المطامع الصهيونية في فلسطين فشنت حملة تضليل مبرمجة استخدمت فيها جهود غالبية المستشرقين في المراكز البحثية الجامعية في هذا في هذا الاتجاه بحيث كان العربي المسلم عند الغرب الأوروبي (ساديا، خؤونا، منحطا، تاجر رقيق، راكب جمال، وغدا، متعدد الضلال...) كما أن (العرب أساسا قتلة والعنف والخديعة محمولان في الموروثات العربية).

الثالث:إن الغرب يغفل متعمدا الإجابة عن أسئلة المسلمين حول من الذي كان يثير الحروب في التاريخ الحديث والمعاصر.[1]

إن الغرب فضلا عن قلة معرفته بالعرب وتواضع فهمه للإسلام إلا أنه لم يسع إلى تدعيم معرفته بالدين الإسلامي، وهذا يعبر عن خلل في التواصل بين الثقافات والشعوب الإسلامية والأوروبية.

وفي دراسة قام بها الأستاذ "جدو فؤاد" حول نقطة الربط بين مختلف الثقافات والبيئة التي يعيش فيها غير الناطقين بالعربية والعرب، من خلال متغير أساسي ألا وهو الترجمة نحو الآخر في مختلف المتغيرات (سياسية، اجتماعية أو ثقافية) الأمر الذي يفتح فضاءات للتواصل الداخلي والخارجي. من خلال دراسة إحصائية لواقع الترجمة العربية من العربية إلى اللغات الأخرى، وحركية الترجمة من العربية إلى الآخر من خلال دور وسائل الإعلام فيها. ومن خلال الاستبيان الذي قام به على إثر حادثة "شارلي إيبدو" في العاصمة الفرنسية باريس ومقاطعة سوفرن. لفهم أبعاد العلاقة بين الفرنسيين ودور الترجمة للمفاهيم الصحيحة للإسلام وانعكاساتها على الجالية المسلمة في فرنسا وأوروبا عموما. حيث توصل لمجموعة من الاستنتاجات وهي أن الترجمة

[1] فائز صالح محمود اللهيبي، مرجع سابق. ص 80

تلعب دورا كبيرا في إيصال الصورة الحقيقية للآخر، خاصة إذا تعلق الأمر بالجانب الفكري والحضاري خاصة للمسلمين ويستلزم ذلك ما يلي:

- تفعيل دور مؤسسات الترجمة نحو الغرب.
- زيادة كفاءة وقدرات المترجمين العرب.
- التركيز على مواقع التواصل الاجتماعي والفضاءات الإلكترونية لتفعيل الترجمة إلكترونيا.
- تخصيص ميزانيات للترجمة للآخر.
- مواكبة الخلفيات الفكرية والمنطلقات التي يقوم عليها الفكر الغربي حتى تكون الترجمة ذات بعد قيمي.[1]

وبالتالي تبقى الترجمة عامل مهم في بناء الجسور بيننا وبين الآخر في إطار نقل الصحيح والمفيد عن حقيقة الدين الإسلامي.

وفي المقابل فقد رسخت وسائل الإعلام الغربية الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في العقل الغربي، وقد أصبح هذا العمل الإعلامي السياسي مؤسسيا بمعنى أنه يقوم على مؤسسات جعلت لتحقيق هذا الهدف في تشويه الصورة العربية الإسلامية، والإساءة إلى نبيها في حالات عدة مثلما حدث في الدانمارك بنشر الصور المسيئة للرسول، وكذا ما حدث مع صحيفة "شارلي ايبدو" –مع السيطرة الإعلامية الغربية العالمية– على العالم أجمع.[2]

[1] جدو فؤاد، « ثنائية الترجمة والإعلام نحو الناطقين بغير العربية، دراسة امبريقية لظاهرة الإسلاموفوبيا–المنطقة الأوروبية أنموذجا–»، الملتقى العلمي الأول للترجمة ودورها في تعزيز التواصل الثقافي، الرياض: جامعة نايف للعلوم الأمنية، 21–2015/04/23.

[2] فائز صالح محمود اللهيبي، مرجع سابق.

إن حقيقة الدعاية المعادية للإسلام والمسلمين، و التي تعمل على تشويه صورتهما من خلال حملات إعلامية مستعرة و مستمرة لا تكل و لا تمل، لذا نرى يوميا في الغرب عناوين الصحافة و الأخبار و الأفلام السينمائية و المسلسلات التلفزيونية و في الكتب و المحاضرات و الندوات و في العبارات التي يستخدمها المعلقون في الأخبار و التقارير. مما شكل مجتمعا ما نستطيع تسميته (معجم الإسلام فوبيا) و منها

- المسلمون قادمون
- الخطر الأصولي الزاحف
- الإرهاب الإسلامي ضد الحضارة
- المدنية الغربية و الهمجية الإسلامية
- التهديد الإسلامي للغرب
- الهجمة الإسلامية ضد الغرب[1]

لا يمكن النظر إلى كل هذه الصور التي تزدحم بها المخيلة الغربية المخصبة بالأوهام عن الإسلام و المسلمين – و التي تربط بين العنف و الإسلام– بمعزل عن الصور النمطية الإستشراقية القابعة في مخيلة الغرب عن الإسلام. إن الموروث الإستشراقي قد أدى بطريقة أو بأخرى إلى تفعيل و تكريس الخوف من الإسلام و كذلك التعصب الغربي ضدها ماضيا و

[1] مصطفى الدباغ، الإسلام فوبيا، عقدة الخوف من الإسلام، ط2 ، عمان: دار الفرقان للنشر، 2001. ص ص 88-89

حاضرا، و يرى "ادوارد سعيد" إنه مما يزيد الأمر سوءا عدم إقدام أي شخص له اهتمامات أكاديمية على التعاطف الكامل و الصادق ثقافيا و سياسيا مع العرب[1].

وللحق فقد لعب بعض أبناء المسلمين دورا سلبيا في تأكيد الصورة النمطية السلبية، و تقاعس آخرون عند تقديم الصورة الإيجابية المطلوبة كما كان للتطبيق المتزمت للإسلام الذي يركز على الشكل على حساب الروح و المضمون و القاصد العليا للشريعة، و الذي اعتمدته بعض الدول و يعتمده بعض الأفراد كنمط حياة، نصيب مؤثر في الإساءة إلى صورة الإسلام و تخويف الآخر منه، بل إلى جنوح بعض الشباب إلى العنف و تبنيهم فتاوى و اجتهادات غير مجمع عليها صب في تيار تصعيد الخوف من الإسلام، وأعطى أعداءه المزيد من المبررات لمحاربته و تضييق الخناق على مجتمعاته م تحميله المسؤولية المباشرة عن توليد الإرهاب والإرهابيين.

إن الإسلام دين السلم و الصلح و الموادعة، هو لا يبيح القتال و الجهاد إلا في حالتين: الدفاع عن الوطن ضد احتلال الأرض و نهب الثروات، فتنة المسلمين في دينهم أو إجبارهم على تغيير عقيدتها. و حتى عندما يقع القتال فإن له آدابا و أحكاما واضحة تحرم قتلى غير المقاتلين و الأبرياء و الشيوخ و النساء و الأطفال، بل وتتبع الفارين أو قتل المستسلمين، أو إيذاء الأسرى أو التمثيل بالجثث، أو تدمير المنشآت التي لا علاقة لها بالقتال. هذه هيا فتوى مجمع البحوث الإسلامية (2001/11/09) إثر تفجير البرجين في الولايات المتحدة. و هي

[1] فائز صالح محمود اللهيبي، مرجع سابق. ص 94.

مستمدة من صريح القرآن و السنة، و لا يجوز أن يحمل المسلمون في العالم وزر أفعال إرهابية لقلة منهم.[1]

المطلب الثالث: البعد الحضاري في العلاقات الأوروبية العربية:

سعى النموذج المعرفي الغربي –في رؤيته للعالم و تقسيمه للمعمورة– إلى إلغاء (الآخر) و الهيمنة على العالم، مروجا لفلسفة نهاية التاريخ و صدام الحضارات ليتم له في ذلك ترسيخ العولمة بحيث تصير هيا البديل الحضاري العالمي. فنهاية التاريخ ما هي إلا تبشير بانتصار الليبرالية على ما عداها من إيديولوجيات بالانتصار الساحق للنمط الحضاري الغربي. فبانتصار المعسكر الغربي و سقوط الاتحاد السوفياتي و انتهاء الحرب الباردة تنتهي التناقضات الأساسية في العالم بانتصار الليبرالية الاقتصادية السياسية و الديمقراطية الليبرالية و من ثم تعلن الحضارة الغربية هيمنتها على بقية الحضارات.[2]

إن الغرب قد روج لمفاهيم موجهة غير بريئة، في ظاهرها الفكر و في باطنها السياسة في تحديد علاقته مع (الآخر)، و من هذه المفاهيم: نهاية التاريخ، صراع الحضارات، حوار الثقافات، و هذه المفاهيم كلها مفاهيم أحادية الطرف تطهر جانبا واحدا من الحقيقة و تخفي الجانب الآخر عن قصد، تظهر جانب المركز و تخفي جانب الأطراف. فصراع الحضارات يقابله حوار الثقافات، و نهاية التاريخ يقابله بداية التاريخ ولا يقوم بإخراج هذه المفاهيم العلماء

[1] عبد الغني عماد، الإسلاموفوبيا بين المقاومة و الإرهاب، بيروت: الجامعة اللبنانية، [د،ت،ن]. ص 28

[2] سمارة فيصل، «البعد الانساني في الشراكة الاورومغاربية من مسار برشلونة إلى غاية مشروع الاتحاد من أجل المتوسط: (1995–2008)»، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة تيزي وزو، 2013/03/06. ص 142

بدافع نظري خالص بل تخرج من مراكز أبحاث تخطط للسيطرة على العالم اقتصاديا، سياسيا، ثقافيا و فنيا، و هي مفاهيم موجهة.[1]

إلا أن هنتنغتون يفسر قناعته بحتمية الصراع بين الحضارات المختلفة: بأن الكراهية شعور إنساني وأن البشر بحاجة إلى أعداء لتعريف الذات وإيجاد الدوافع. ومن الواضح أن نظرية هنتنغتون تدفع نحو نظرة خاطئة للحضارة الإسلامية والمعطيات في حين الإسلام لا يسعى للصراع مع الحضارة الغربية إلا مع العناصر العدوانية الشريرة التي تهدد وجوده ومعتنقيه. الأمر الذي يدفعنا للقول أن طروحات هنتنغتون للصراع بين الحضارات ليست تأتي في إطار دعوة للعودة إلى شريعة الغاب وفرض الأفكار والمعتقدات والرؤى الغربية على المجتمع العربي الإسلامي، في محاولة من الغرب لفرض التفوق الحضاري الغربي وطمس معالم الحضارة الإسلامية. حيث مارست القوى الغربية المعادية للأمة العربية والإسلامية صيغا متعددة في فرض التفوق المادي على الأمة العربية انطلاقا من نظرة استعلائية عنصرية، حيث لم يكن الطريق المباشر هو أنجح الأساليب دائما، وإنما بعض الأحيان كانت تأخذ طابع قتل الحافز الذاتي على تحقيق التقدم والإجبار على الانتماء الإيديولوجي إلى النموذج الغربي المادي.

لذلك فإن الاستراتيجيات الغربية كانت تنطلق تحديدا من نظرة الغرب إلى الحضارة العربية والإسلامية بوصفها ثقافة عدوة، وهذا العدو لابد من محاربته واحتلال أرضه وتجزئتها كلما استطاع الغرب إلى ذلك سبيلا وأحد الأدلة على ذلك قول "لارشي" الفرنسي أستاذ التشريع الجزائري: « لا سبيل أنجح لفرنسا من التعليم الابتدائي لتخليص السكان المسلمين من الأفكار

[1] عماد علو، «جدلية الصراع و الحوار بين الإسلام و الغرب»، جريدة الزمان، 2014/01/07. متحصل عليه: www.azzaman.com

المسبقة التي تحول بهم دون مدنيتنا ولرفع مستواهم الأدبي والثقافي » إن هذه الرؤيا ليست فقط تبريرية وإنما في حقيقتها تمارس عن عمد.

إن ما يحاول الغربيين إشاعته حول الخوف من الإسلام، واعتباره الخطر القادم (الخطر الأخضر) كما سماه بعضهم، وترشيحه ليكون العدو البديل بعد سقوط الإتحاد السوفياتي الذي سماه "ريغان" إمبراطورية الشر. إن الغرب اليوم يطبق على العرب والمسلمين على حد سواء أسلوب تشويه صورتهم في عيون العالم بقصد تشويه ما يتصف به الإسلام من سماحة وصدق وعدل ودعوة إلى التراحم والفضيلة وتعايش مع (الآخر).

لقد عبر كل من برنارد لويس وفوكوياما وهنتنغتون أن الإسلام عدو صريح للحضارة الغربية بكل منظوماتها وقيمها ومنجزاتها، وأن المسلمين لديهم ميل طبيعي للعنف والعدوانية والانتقام من الغرب. وأن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي مازالت عصية على الاحتواء الغربي وعلى الحداثة، وعليه فإن الدوافع والمبررات التاريخية والدينية (الحروب الصليبية) التقت مع المصالح الاقتصادية في استعدائها للعرب والمسلمين. وهو أمر تعكسه المطالب الغربية في دعوة الولايات المتحدة لقيادة حملة صليبية جديدة ضد الإسلام وهو التعبير نفسه الذي استخدمه "بوش الابن" في بداية الحملة الأمريكية الجديدة على العالم الإسلامي وحربها ضد الإرهاب والدول الداعمة له والتي أطلق عليها (محور الشر)، والتي بدأت بأفغانستان والعراق 2003 على إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر.[1]

على خلاف ما سبق فقد جاء الإسلام ليشكل مشروع رؤية متجدد، دأبت تعاليم السماء على الدعوة إليه والمناداة به منذ بدء الخليقة، رؤية تقوم على تدمير معاقل التظالم بين البشر

[1] Steven Salaita, Anti Arab Racism in the USA, Where It Comes from and What It Means for Politics Today, London: Pluto Press, 2006. P 71

ونشر العدالة والأخوة والمساواة والتسامح والفضيلة فيما بينهم. كما أن المسلمين يؤكدون على الاختلافات بين حضارتهم والحضارة الغربية، وعلى تفوق حضارتهم، والحاجة إلى الحفاظ على ثبات تلك الثقافة ضد الهجوم الغربي. فالمسلمون يخشون من القوة الغربية وما تمثله من خطر بالنسبة لمجتمعاتهم ومعتقداتهم.

في فرضية هنتنغتون في كتابه صدام الحضارات اكتسب النقاش الدائر حول ما إذا كان الإسلام يمثل فعلا تهديدا حضاريا للغرب أهميته لأنه جاء حين كانت الحرب الباردة تضع أوزارها، وكان المفكرون الغربيون يسعون إلى إعادة رسم مفاهيم العالم وكانت عملية صب النماذج الجديدة وقولبتها تنذر بإعادة بناء الآخر الإسلامي.

رأى هنتنغتون بشأن توسيع نطاق صراع الغرب والإسلام عن طريق التنبؤ بأن من شأنه أن يكون هناك تعارض بين هاتين الحضارتين إن جادل بأن التاريخ يكذب هذه الفكرة التي تبناها الزعماء الغربيين بأن الغرب ليس لديه مشاكل مع الإسلام، بل فقط مع المتطرفين الإسلاميين منهم. وتحجج بأنه على مدى السنوات الماضية أربعة عشر قرنا من المسيحية والإسلام كان خلاف مستمر وكانت الديانتين في منافسة جدية ((السلطة والأرض والنفوس)). وقد أكد أن التسامح بين الإسلام والغرب انخفض في العقود الأخيرة من القرن العشرين. [1] الأحداث التي جرت في السنوات القليلة الماضية على ما يبدو دعمت الإدعاء بشأن هذا الانخفاض، إن مطلع الأدبيات الغربية التي تتحدث عن الطرح وتتبناه يرى أنها تقف عند حدود الصراع الإقليمي بسبب زرع الكيان الإسرائيلي في قلب الوطن العربي وكذلك الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب وهذا ما تعززه مقولة هنتنغتون يقول: « **أربعة عشر قرنا.... أثبتت العلاقات بين الإسلامية**

[1] Ellis Gllis, Gauging the Magnitud of Civilization Conflict,

والمسيحية أنها كانت غالبا عاصفة، كل واحد كان نقيضا للآخر. » لذلك أخذت مقولة هنتنغتون وأطروحته بعدا استراتيجيا خصوصا بعد أن انهارت المنظومة الاشتراكية، حيث لم يبق عدو قوي للغرب فأثيرت هذه الأطروحات التي وضعت على سلم الأولويات في بناء أطروحات السياسة الدولية والعلاقات الدولية بين الغرب والدول الإسلامية. وهذا السيناريو يعبر عن أحد أهم المتغيرات وهو انتهاء الحرب الباردة، وهذا السيناريو يدفع باتجاه الضغط المتكرر من قبل الغرب: حضارته، ثقافته، نظمه.[1] وهو نفسه ما أدى إلى بروز تيار فكري في الغرب يجعل من الإسلام عدو للغرب بديلا من الشيوعية، كما شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر منعطفا تاريخيا أصبح ينذر بإمكانية قيام مواجهة وصدام حقيقيين بينهما بناء على خلفيات سياسية وعسكري بغلاف ثقافي وحضاري.[2]

[1] حسن عبد الله العايد، المتغيرات الدولية وسيناريوهات الثقافة العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 2004.ص81

[2] إدريس لكريني، «الإسلام والغرب بين نظرية الصدام وواقع الملتبس»، مجلة المستقبل العربي، جويلية 2003، العدد 293، السنة 26.

المبحث الثالث: عناصر التوافق الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية

إن ضرورة التعايش السلمي، استدعت من الجانبين الأوروبي والعربي إلزامية تلوين هذه العلاقة بصبغة الحوار والتعاون في إطار حوار الثقافات أو حوار الحضارات. من أجل بعث سبل السلام، والبحث عن مشتركات تاريخية بين العرب وأوروبا في إطار تبادل المصالح. وسيتم التعرف في هذا المبحث على محددات التعاون، والآليات الضرورية لذلك من أجل التعرف على أهداف التقارب الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية.

المطلب الأول: محددات التعاون الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية:

لقد مثل المحور الأخير لبيان ندوة برشلونة الختامي عنوان: الشراكة في المجال الاجتماعي و الثقافي و الإنساني، و قد جاء في مضمونها التركيز على 21 موضوعا تراوحت بين: الهجرة، المخدرات، الجريمة العابرة للحدود، الفساد، المرأة و غيرها من المواضيع التي تدخل في سياق الشؤون الاجتماعية و الإنسانية لشعوب الجانبين الأوروبي و المتوسطي.

لقد حرصت الدول المشاركة في هذه السلة على اعتبار تقاليد الثقافة و الحضارة في كلتا جهتي المتوسط و كذا الحوار بين الثقافات و المبادلات الإنسانية، العلمية و التكنولوجية بمثابة عامل أساسي في تقارب الشعوب و تفاهمها من خلال تحسين الإدراك المتبادل.[1]

على هذا الأساس فإن تحقيق و نجاح الشراكة بمضامينها الاجتماعية الثقافية و الإنسانية يتطلب جملة من الشروط:

[1] سمارة فيصل، مرجع سابق. ص 93

- التأكيد على ضرورة الحوار بين ثقافات بلدان الضفتين و ما يلازم ذلك من الأهمية الحضارية للبحر الأبيض المتوسط.
- تنمية الموارد البشرية في مختلف الدول المتوسطية.
- دعم التعاون اللامركزية من خلال إقحام المجتمع المدني في ميادين الثقافة و الدين.
- ضرورة الإسراع في اتخاذ الإجراءات اللازمة المشتركة لدى خطر الإرهاب و غيرها من الآفات الأخرى على نحو الجريمة العابرة للحدود، المخدرات...الخ.
- الإقرار بالأثر الذي أصبحت تخلفه حركة الهجرة غير الشرعية و بالتالي ضرورة تكثيف التعاون للتخلص من ضغوطات الهجرة.[1]

هذا بالإضافة إلى التنويه بأعمال الدعم لصالح المؤسسات الديمقراطية و توطيد دولة القانون.

و عليه يمكن القول من خلال الاطلاع على محتوى هذه السلة أن السلة الثقافية و الاجتماعية قد تمحورت في مجملها حول أربعة مواضيع أساسية هذه المواضيع شكلت في مجملها المحددات التي تم العمل وفقها من أجل دعم التعاون الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية و هي:

- الحوار بين الثقافات.
- دور المجتمع المدني.
- تنمية الموارد البشرية.
- الآفات الاجتماعية و حركية الهجرة غير الشرعية.

[1] بشارة خضر، أوروبا من أجل المتوسط من مؤتمر برشلونة الى قمة باريس 1995-2008، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.ص 167

قد اجتمع الباحثون في ميادين العلاقات الأورومتوسطية أن إقحام البعد الثقافي في السلة الثالثة للشراكة إنما هو نتيجة طبيعية لخطاب ما بعد الحرب الباردة الذي بدل في مضمونه العام على تصاعد البعد الثقافي على حساب تراجع الأبعاد الأخرى خصوصا العسكرية.

وهو خطاب يشير و يوضح إلى تنامي مصادر جديدة للخوف يتم إرجاعها في معظم الأحيان إلى أسس ثقافية بالدرجة الأولى مما يجعل التفكير في وسائل محاربة هذه المخاوف يحيد تماما عن الوسائل العسكرية التي كانت تستعمل ضد التهديدات العسكرية سابقا، إلى وسائل لا تستدعي تكنولوجيات عالية الصنع و هي الحقيقة التي أدركها الاتحاد الأوروبي في علاقته مع شركائه من الضفة الجنوبية و ما كان من إطلاق مشروع الشراكة الأورومتوسطية، و عليه فإن السلة الاجتماعية و الثقافية هي تكملة لمضامين السلات الأخرى خصوصا السلة السياسية و الأمنية.[1]

وتتطلب اتفاقية الشراكة من الفريق المتوسطي إجراء إصلاحات اقتصادية و تحرير التجارة الخارجية بما ينسجم مع مبدأ السوق و يتكيف معه، و إعادة النظر في السياسة النقدية و رفع مستوى المصارف إنشاء أسواق مالية (بورصات)، و الانضمام إلى الاتفاقيات الدولية الخاصة بالتحكيم التجاري الدولي.[2] و تؤكد الوثيقة في البعد الاجتماعي و الإنساني على التعاون بين الاتحاد الأوروبي و الدول المتوسطية في مجال الديمقراطية و حقوق الإنسان. و إشراك المجتمع المدني في النشاطات السياسية و الثقافية و النقابات والشركات الخاصة و العامة. و إعطاء الأولوية للتعليم و التدريب و الحد من الهجرة ز مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة و

[1] محمد ابو العنين، «العلاقات الاوروبية الافريقية بعد انتهاء الحرب الباردة»، السياسة الدولية، عدد 140، افريل 2000. ص ص 20،21

[2] محمد مطاوع، «أوروبا والمتوسط ... من برشلونة إلى سياسة الجوار»، السياسة الدولية، عدد 163، جانفي 1963، ص 41

التعاون الثقافي و الإعلامي، و التعاون في ميدان العدالة و مكافحة الغش، و في ميدان الصحة و الشباب و من أجل ترسيخ التعاون الثقافي الأوروعربي تم بعث العديد من المؤسسات المشتركة ومن بينها "المؤسسة الأوروبية العربية للدراسات العليا" يعود أصلها إلى الاتفاق الذي أقرة البرلمان الأوروبي عام 1948 من أجل استحداث الجامعة الأوروبي العربية في 10 أكتوبر 1995 ثم إنشاء المؤسسة العربية للدراسات العليا و هي المؤسسة الوحيدة على الصعيد الدولي من حيث مهمتها ألا و هي: خلق فضاء للحوار و التعاون بين بلدان الاتحاد الأوروبي و جامعة الدول العربية.

تحتضن المؤسسة مدينة غرناطة، و هي المدينة المرجعية في العلاقات التاريخية بين أوروبا و العالم العربي و يشرف على إدارة المؤسسة مجلس إدارة يرأسه الأمين العام لشؤون الجامعات في وزارة التربية الثقافة الرياضة، حكومة إقليم لأندلس و جامعة غرناطة.

تعمل المؤسسة من خلال مشاريعها و أنشطتها على الارتقاء بعلاقات التعاون الأوروبية و العربية وبتحفيز الأنشطة العلمية و الأكاديمية و الاجتماعية و الثقافية التي تتيح نشر تيارات و اتجاهات جديدة في مجال العلوم و العلوم الإنسانية التي تناجها الجامعات و مراكز أخرى للبحث العلمي أو الإبداع الفني سواء على الصعيد الوطني أو الدولي. تقوم المؤسسة الأوروبية العربية بعلاقات مع عدد كبير من المؤسسات و المنظمات التعليمية من خلال اتفاقيات التعاون، من أجل البحث، الاقتصاد، و التعاون و الثقافة.

تتمثل أهداف المؤسسة في:

- تعزيز التبادل التعليمي، البحثي، المساعدة التقنية و المعلومات، التعاون مع مؤسسات أخرى في مناطق جغرافية أخرى. معززة بشكل خاص العلاقات مع دول الحوض الأوروبي المتوسطي.

- تعزيز برامج دراسات عليا بين الجامعات و البحوث في دول أوروبية و عربية من أجل التبادل و نشر المعرفة.
- المساهمة في التنمية الاقتصادية و تعزيز التبادل بين الدول العربية و الأوروبية، من خلال برامج تدريب إدارية عالية من قبل مدراء تنفيذيين و موارد بشرية.
- العمل على تقديم الموارد و المعلومات المفيدة، و الشاملة و المحدثة. من خلال تنفيذ شبكة من شركاء المؤسسات و المجتمعات.
- العمل من أجل أن تدخل في المجتمع فكرة احترام العلوم و قيم التسامح و المساواة و الموضوعية والاقتصادية و الرزانة.
- العمل لتشجيع تنقل الطلاب من المرحلة الجامعية الأولى لمرحلة الدراسات العليا، عرب و أوروبيين من أجل التبادل و نشر المعرفة.[1]

بالإضافة إلى ذلك نجد معهد العالم العربي على نهر السين، أنشأ بمساهمة بين 22 دولة عربية وفرنسا ليكون رافدا للتقارب الثقافي و الفكري و الحضاري و المعرفي بين العرب الفرنسيين. و على لسان رئيس المعهد البروفسور "جاك لانغ" الذي يعد من أبرز وزراء الثقافة الفرنسية، الذي يعتبر أن هذا المعهد هو جسر بين العالم العربي من ناحية و العالم الغربي من ناحية أخرى، و فرنسا تحديدا و الذي تم افتتاحه في عهدته الوزارية منذ أكثر من 25 سنة.[2]

المطلب الثاني: آليات التعاون الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية:

[1] التعاون الاورومتوسطي في مجال الثقافة. موقع الاتحاد الاوروبي.
http://www.enpi-info.eu/mainmed.php?id_type=3&id=458

[2] برنامج بلا حدود، الجزيرة الفضائية للأخبار، 2013/06/22، 2:30 .

منذ إعلان برشلونة تم البدء بتنفيذ العديد من البرامج والمبادرات إيمانا بأن الحوار والتعاون بين المجتمعات يمكن أن يلعبا دورا حاسما في تعزيز التفاهم المتبادل والمصالحة والتسامح، وفي خلق منطقة أورومتوسطية حيوية، مستقرة ومزدهرة. في السنوات الخمسة عشر التي تلت المؤتمر تغيرت البيئة الاجتماعية والسياسية بشكل ملحوظ، كما جرى وضع آليات وبرامج تمويل إضافية لمواجهة المجموعة الجديدة من الظروف ولتشجيع المزيد من الحوار بين الشعوب. وقد تمت الموافقة على مجموعة متنوعة من المبادرات في هذا القطاع وتنفيذها.

وقد مر التعاون الثقافي الأوروعربي بعدة مراحل تم اللجوء فيها إلى استخدام عدة آليات من أجل دعم مسار هذا التعاون، ففي الممتدة بين 22007 و 2013 يتم تمويل إجراءات الإتحاد الأوروبي التنموية في مجال الثقافة من خلال نوعين من الآليات: الجغرافية والمواضيعية.

- يتم دعم تنفيذ السياسات على المستوى الوطني والإقليمي من خلال آليات جغرافية مثل: الآلية الأوروبية للجوار والشراكة (ENPI) في مناطق الجوار.
- في إطار البرنامج المواضيعي بعنوان "الإستثمار في الناس" (وهو جزء من آلية التعاون الإنمائي التي انطلقت في عام 2007 لتحل محل مجموعة واسعة من آليات التمويل الأخرى)، تم تخصيص 50 مليون يورو للثقافة تحت عنوان «الوصول إلى الثقافة المحلية، وحماية وتعزيز التنوع الثقافي»

ويركز هذا البرنامج على تطوير السياسات التي تسمح بوصول أفضل إلى الثقافة المحلية والحفاظ عليها وتقديم الفرص للتبادل الثقافي، وتحسين التفاهم المتبادل والحفاظ على القيم المحلية والأصلية.[1]

وقد حضت الثقافة في الشراكة الأورومتوسطية بالعديد من البرامج والمبادرات من أجل العمل معا دولا وأقاليم ومن بين البرامج الإقليمية في مجال الثقافة نجد:

- الإعلام والثقافة من أجل التنمية في منطقة جنوب البحر الأبيض المتوسط.
- برنامج أورميد السمعي البصري.
- برنامج التراث الأوروبي المتوسطي (يورميد للتراث).

ونجد من بين البرامج الإقليمية الأخرى: التعاون عبر الحدود، برنامج سيوداد.

أما فيما يخص دعم الثقافة في كل بلد فنجد:

- المشاريع الثنائية البلوماسية الثقافية.
- الحوار بين الثقافات: وذلك برعاية كل من مؤسسة آناليند، يورميد للشباب والشراكة من أجل السلام.[2]

وفي أعقاب الربيع العربي، كانت الأولوية للتعاون في منطقة البحر الأبيض المتوسط هي في مواصلة المساعدة في عملية التحول إلى مجتمعات ديمقراطية وهو مجال تلعب فيه

[1] «التعاون الأورومتوسطي في مجال الثقافة»، تقرير صادر عن المديرية العامة للجنة التعاون الدولي والتنمية، المفوضية الأوروبية. متحصل عليه:

http://www.Ec.europa.eu

[2] متحصل عليه:

http://www.euromedyouth.net

الثقافة دورا رئيسيا، ليس فقط في العلاقات بين الثقافات في إطار مشروع "حوار الثقافات" ولكن أيضا في التنمية الإنسانية، الاجتماعية والاقتصادية. ولقد أدرك الزعماء السياسيون من الشمال والجنوب أن حوض البحر الأبيض المتوسط هو مهد ملتقى الحضارات، وأنه على مر التاريخ، قدمت شعوب هذه المنطقة مساهمات هامة جدا في الإثراء المتبادل بين الثقافات الخاصة بكل منها.

إن التعاون الثقافي وإرساء حوار الثقافات ممكن عبر نخب مستوعبة لماضيها وحاضرها الثقافي ولتجسيد التعاون الثقافي الأوروبي العربي لابد من تفعيل هذه الآليات والعمل على تنفيذها من منطلق تقبل الآخر، إن حوار الثقافات ليس هو البحث عن قواسم مشتركة بين الثقافات الكبرى القائمة، أو الاتفاق على تقاسم سلطة القرار بين التجمعات البشرية الكبرى فهذا توافق خفي مع مقولة "صراع الحضارات" في تفرد الكتل الثقافية الواسعة في صنع مستقبل العالم، وفي تأييد أحاديث ثقافية وقيمية كقدر محتوم، وكذلك لا نريد حوار الأمنيات والدعوات الأخلاقية الساكنة التي يدمنها المهمشون كلما صدمتهم مجريات الأمور، أي لا نريد تعبيرا عن أخلاق الضعفاء الذين يعوضون ضعفهم بسمو قيمهم.[1]

إن نجاح آليات التعاون الثقافي الأوروبي العربي يقتضي ضرورة التعرف الحقيقي على الآخر وعلى ثقافته على النحو الذي من شأنه أن يؤدي إلى تأكيد قيم التسامح الإيجابي إزاء الآخرين وليس مجرد التسامح الحيادي، وهذا يعني أنه على العالم العربي ضرورة تناسي الماضي الاستعماري وما كان فيه، كما على الغرب الإقرار بالتعددية الثقافية وقبول الجانب العربي واحترام ثقافتهما يكن مستواه من الرقي المادي. لأن احترام الآخر والتعرف عليه من شأنه أن يؤدي إلى

[2] أمال يوسفي، بحوث في علاقات التعاون الدولي، الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع، 2008. ص80

تفهم كل الظروف المحيطة به، ومن شأنه كذلك أن يقضي على الكثير من الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة لدى أطراف الحوار.

حتى يتسنى لنا تحقيق إنسانيتنا المشتركة، نحن بحاجة إلى المزيد من التبادل والتعامل، ومزيد من الفرص للسفر والتعارف بين الشعوب، وهناك الحاجة لمزيد من التعاون بين المؤسسات التعليمية، وتنقل المثقفين والقيادات المحلية والطلبة عبر الحدود في جميع الاتجاهات (شمال/جنوب) ليتسنى لهم إقامة حوارات وتفاعل مباشر واحترام متبادل وفهم أفضل للحقائق والبحث عن أرضية مشتركة من خلال:

- الاعتراف المتبادل بالتقاليد المميزة للثقافات الإنسانية المتعددة.
- تجاوز نقطة الاعتراف المتبادل والاتجاه نحو تقبل التفاعل بين الهويات الثقافية المتعددة والتي تسمح بالتعايش بين مختلف التقاليد الحضارية.

المطلب الثالث: أهداف التعاون الثقافي في العلاقات الأوروبية العربية:

شكلت منطقة البحر المتوسط منذ آلاف السنين مكان تمازجت فيه الثقافات والحضارات المختلفة وذلك لتعدد الأصول (العربية، الأوروبية) والديانات (الإسلام، المسيحية، اليهودية). اتسمت العلاقات بينها غالبا بالتنافر والمواجهة بدءا بالحروب الصليبية ومن ثم الحركة الاستعمارية، وانتهاء بصراع الحضارات.

لقد تأثرت ثقافة الشعوب العربية والأوروبية خلال التاريخ ببعضها البعض في مختلف المجالات سلبا أو إيجابا، قبولا أو رفضا. لذلك نجد في الحالات كلها في كل ثقافة شيئا من الثقافة الأخرى، وهذا ما يؤكد إمكان وضرورة عقد حوار واسع بين هذه الثقافات من شأنه إزالة

المواقف السلبية المتراكمة ودفع الثقافات نحو التفاعل والتعاون. ولا شك أن الحوار الجاد والموضوعي والمسئول كفيل بإزالة الحذر والمواقف السلبية المسبقة وفتح آفاق التعاون والتفاهم. لقد شكلت صورة نمطية لدى الشعوب العربية والأوروبية بعضها تجاه البعض الآخر، ترسخت عبر عملية تراكمية معقدة بدأت في مراحل مبكرة من التاريخ واستمرت حتى الآن.

لقد سعت الدول الأوروعربية لبعض أنماط التعاون من أجل بث وبعث تعاون حقيقي بهدف تحقيق التقارب الثقافي بين شعوبها من خلال عدة آليات وذلك بهدف تجاوز الأزمة العالمية ذات البعد الثقافي القيمي من خلال تقريب الرؤى [1]، إذ أن الدعوة إلى الحوار الثقافي والتعاون الثقافي بين جانبي المتوسط ليست هي المرادف للحديث عن وجود ثقافة متوسطية موحدة لها قيمها ومعاييرها ورموزها وتعكس توحيد نمط التفكير؛ لأن هذا الحديث يعكس توجها مبالغا فيه، ذلك أنه يفرض وجود قواسم مشتركة ثقافية متوسطية لأنها لا تستطيع أن تلغي حقيقة تنوع واختلافات ثقافات الشعوب المتوسطية التي تمثل العقيدة الدينية عنصرا أساسيا في تكوينها. ومن ثم فلا يجب أن يكون المقصود بالبعد الثقافي للشراكة إدماج ثقافات شعوب المنطقة في ثقافة متوسطية موحدة، ولكن يجب أن يهدف الحوار الثقافي والتعاون الثقافي إلى تدريب الشعوب على التعايش السلمي والإدراك المتبادل والاحترام المتبادل للخصوصيات الثقافية، وبناء جسور ثقة حقيقية بين جانبي المتوسط وصولا إلى درجة أفضل من التعاون.[2]

لقد توالى الاهتمام بتشجيع الحوار الثقافي من أجل تدعيم التعاون الثقافي الذي يسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

---

[1] سمعان بطرس فرج الله، مستقبل الترتيبات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وتأثيراتها على الوطن العربي، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1998.ص ص 205،206

[2] محمد السيد سليم، «الشراكة الأوروبية المتوسطية، الأبعاد الثقافية»، كراسات إستراتيجية، العدد 109، 2001. ص ص 14،15

- تعزيز التعاون حول "حوار ثقافي" بشروط ومضامين تجعله سبلا للتعارف الحضاري الحقيقي، وبالتالي لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يكون سبلا لتمكين ثقافي لطرف على طرف آخر، أو أن يكون قناة للتبرير في مواجهة "الاتهامات" المتعددة للإسلام والمسلمين سواء في أوروبا ذاتها أم خارجها.
- الحوار الجاد والفعال في حل المشاكل عن طريق إتباع طرق حضارية: كالإنصات، الإقناع واحترام الخصوصيات؛ فلا يحق لأي طرف أن يفرض قيمته على البقية من منطق الوصاية والتعالي مما يؤدي إلى رد فعل عنيف من طرف بعض الحركات والتنظيمات.[1]
- إقامة علاقة تشهد بالتوازي مع الشراكة الاقتصادية والتجارية التي يجب أن تستمر وتتطور وإذا لزم الأمر شراكة سياسية وأمنية يمكن أن تحدد معالمها في المستقبل، تشهد قيام مسار قوي وعلى قدم المساواة من أجل بناء "حضارة مشتركة تراعي الاختلاف وتحترم الخصوصيات الأصلية"، في كامل الفضاء الأورومتوسطي وتحمل "الرغبة في العيش معا".
- إشراك المواطنين والشعوب وليس الحكومات فقط من أجل خلق قاعدة مؤسساتية مشتركة ومتكاملة ومتوازنة، تمكن حوار الشعوب والثقافات من استيعاب كامل العلاقة الأورومتوسطية. وتمنحها تلك الصفة الخاصة والقادرة في إطاره على إضفاء الطابع الإنساني سواء لتأثير العولمة أو للعبة العلاقات الدولية.[2]

---

[1] نادية محمود مصطفى، مرجع سابق. ص ص 21-23

[2] ـــــ، «حوار الشعوب والثقافات في الفضاء الأورومتوسطي »، تقرير مجموعة الحكماء، المفوضية الأوروبية، 2003. ص ص 22،23

- جعل المساواة مبدأ مؤسسا للحوار في الفضاء الأوروعربي يتطلب أن تضطلع النساء بدور الفاعلين وأن يكن أول المستفيدين. ويتعين علينا الوعي باستمرار بأن حال الثقافة لا يكون بخير في الفضاء المتوسطي ما لم تدعى المرأة للاضطلاع بدورها الكامل. ومثلما أبرز ذلك برنامج الأمم الاتحاد للإنماء (PNDA) حول "التنمية البشرية في العالم العربي" فإن النساء يشكلن عموما الفاعلين الأكثر حركية صلب عملية التنمية الاقتصادية رغم أوضاع التمييز التي مازلن يعانين منها.
- ضرورة إشراك المجتمعات المدنية من خلال تشجيع "الديناميكيات الجمعياتية" (النقابات، الجمعيات) كما يجدر إيلاء الأهمية وبنفس القدر في الشمال والجنوب على حد سواء للتعليم والإعلام وكذلك للعمل والحياة المدنية. و إعادة التفكير في مشروع التعاون على ضوء مكونات البعد الثقافي.
- يشكل التعليم مركز الآليات المقترحة للتعاون الثقافي وبدونه لا جدوى للحوار في ظل غياب الفاعلين في ذلك الحوار ومخاطبين قادرين على تلقي ونشر المعرفة، وإذا لم يوضع التعليم في مكانة الأداة المتميزة للحوار فذلك يعني قبول فكرة أن التعليم حكرا على نخبة منغلقة على ذاتها، وهو ما يعني أيضا تتابعا مأساويا "مجموعات حكماء" عديمة التأثير والمستقبل. وإن التعليم هو الوسيلة لجعل الحوار يمتد إلى أعماق المجتمعات المدنية ويطبع النسيج الاجتماعي ويصبح حوارا حقيقيا بين الشعوب، شعوب مستنيرة بمعرفة ذواتها، وبالشعوب الأخرى وتحركها تلك المعرفة.
- تعزيز العمل في المجال الإعلامي فيما يتعلق بالمجال السمعي البصري في إطار مشروع "أورميد السمعي البصري"، وكذا تشجيع إقامة قنوات حوار من أجل خلق جسر بين الشعوب المهاجرة ودول الجنوب والتي هي موطنها الأصلي. وهذا من أجل تجنيب

أخطار تقوقع الجاليات على حالها في مجتمعات الاستقبال، والدعم المادي الأوروبي من أجل تأسيس عدة قنوات وبعدة لغات وغير مشفرة على أقمار صناعية متوسطية.[1]

وعلى سبيل المثال نأخذ فرنسا كنموذج في المجال الإعلامي حيث تعتبر أكثر الدول كثافة في نشاطها الإعلامي الموجه ضد الإسلام وكذا المسلمون. وهنا نذكر قضية الحجاب والتي تناولتها وسائل الإعلام الفرنسية منذ 1989 وإلى يومنا هذا عندما قام مدير معهد "هافز" بمدينة "كراي" بطرد ثلاث تلميذات محجبات وتحول الحادثة إلى قضية ذات أبعاد وطنية.

- إعادة وضع مراجعة المناهج الدراسية المقررة فيما يخص التاريخ والحضارة على مختلف الأطوار والمستويات من خلال التركيز على جوانب العطاء المتبادل حتى أثناء مراحل الصراع والعداء كإبراز دور العمالة المهاجرة العربية في إعادة بناء أوروبا الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية.[2]
- إنشاء هيئة أورومتوسطية لتقييم الشهادات العلمية ومنحها للمعادلات، وهذا من أجل شمل التبادل العلمي بين الجامعات ومراكز التدريب وإنشاء صندوق لتمويل مختلف الأعمال السينمائية والفنية وكذا المعارض المشتركة وهذا من أجل تصحيح الصور والمفاهيم الخاطئة التي يحملها كل طرف عن الآخر، وتنمية قيم التعاون والتكامل واحترام الآخر.
- تتفق الأطراف المشاركة في التعاون الأورومغاربي على أهمية المشاركة في المجال العلمي والتكنولوجي، وهذا من أجل تطوير حقيقي للمنطقة خاصة الدول الجنوبية كما أن تدعيم هذا المجال سيسمح لا محال في تعزيز التفاهم بين شعوب المنطقة.

[1] هاني خلاف،« نحو تطوير حقيقي للشراكة الأورومتوسطية»، السياسة الدولية، عدد 173، 2008، ص 53
[2] نفس المرجع، ص ص 54،53

– تحقيق الأمن الجماعي في المتوسط، من منطلق أن الضفة الجنوبية تشكل مصدر التهديدات سواء تعلق الأمر بالهجرة غير الشرعية، أو تصاعد ما تسميه أوروبا بالأصولية الإسلامية وكّا تأمين المصادر الطاقوية.

– تحقيق الأمن الطاقوي، حيث يعتبر الأمن الطاقوي الأوروبي عصب العلاقات الأوروبية العربية على العموم، ومع دول المغرب العربي على وجه الخصوص.[1]

لقد بينت الخبرات التاريخية أنه كان للمتغير الثقافي تأثيرا مباشرا على المتغيرات السياسية والاقتصادية، ولذا فإنه وانطلاقا من واقع الأنماط المتكررة في التاريخ استخلاص ما يلي: من ناحية إن التثاقف والتفاعل الثقافي لا يقتصر على أوقات السلم فقط، كما لا يأخذ تأثيره اتجاها واحدا دائما من مركز القوة إلى الطرف الأضعف، فقد يحدث العكس أحيانا، كما أن هناك فارقا بين التثاقف والتفاعل الثقافي كعملية تلقائية وبين أساليب الفرض بالقوة. ومن ناحية أخرى: فإنه لم يتكرس التعارض بين اختلاف شعوب شمال المتوسط وجنوبه من جانب، والحوار بين الحضارات والتفاعل الثقافي فيما بينها من الجانب الآخر. حقيقة إن الاختلافات العميقة بين الحضارة المسيحية الأوروبية والحضارة الإسلامية العربية قد أفرزت صراعات، ولكن طابع الصراع أو الصدام الحضاري لم يكن يعني إهدار إمكانية التعاون. فلقد فرض الجوار الجغرافي ضرورة التعاون لتحقيق منافع متبادلة. وإن خضعت هذه الترتيبات لواقع توازنات القوى إلا أنه لم يقف اختلاف الثقافات حائلا دون التعاون. [2]

[1] نصير عرباوي،«مستقبل الشراكة الأورومتوسطية»، الجزائر: مجلة العلوم الاجتماعية، سبتمبر 2013. ص ص 294-296

[2] حامد ربيع، الحوار العربي الأوروبي إستراتيجية التعامل مع القوى الكبرى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1980. ص ص 202-204

ولذا تتبلور مجموعة من الآراء الوسطية حول سبل تفعيل البعد الثقافي وخاصة من حيث ارتباطاته بالبعدين السياسي والاقتصادي، سواء ما يتصل منها مباشرة بالساحة العربية– المتوسطية (الديمقراطية، حقوق الإنسان، التنمية، الرأسمالية وتحرير التجارة)، أو ما يتصل بالساحة الأوروبية (الهجرة والوجود المسلم في أوروبا). ومن هنا فإن الحديث والدعوة إلى الحوار الثقافي والتعاون الثقافي بين جانبي المتوسط ليست هي المرادف للحديث عن وجود ثقافة متوسطية موحدة لها قيمها ومعاييرها ورموزها، وتعكس توحيد نمط التفكير؛ لأن الحديث يعكس توجها مبالغا فيه ذلك أنه يفرض وجود قواسم مشتركة ثقافية متوسطية، إلا أنها لا تستطيع أن تلغي حقيقة تنوع واختلافات ثقافات الشعوب المتوسطية التي تمثل العقيدة الدينية عنصرا أساسيا في تكوينها.[1] ومن ثم فلا يجب أن يكون المقصود بالبعد الثقافي للشراكة إدماج ثقافات شعوب المنطقة في ثقافة متوسطية موحدة، ولكن يجب أن يهدف الحوار الثقافي والتعاون الثقافي إلى تدريب الشعوب على التعايش السلمي والإدراك المتبادل والاحترام المتبادل للخصوصيات الثقافية، وبناء جسور ثقة حقيقية بين جانبي المتوسط وصولا إلى درجة أفضل من التعاون الثقافي. و إنشاء منظور ثقافي تعددي للتعاون الأوروبي العربي يتجاوز المخاوف و الإدراكات، وفكرة لتعددية ثقافية تعني بالأساس قبول واحترام الاختلافات الثقافية والعمل على إنشاء قنوات للاتصال بين الثقافات، ولا ينفي ذلك بالتأكيد وجود بعض القيم المشتركة بين هذه الثقافات ولكن التفسير والتطبيق العلمي لهذه القيم لابد وأن يختلف من ثقافة إلى أخرى.

[1] التجاني بولعوالي، مرجع سابق. ص ص 32–36

في هذا الفصل يتم التطرق للعلاقات الأوروبية العربية بعد الحادي عشر من سبتمبر هذه الحادث المفصلية والتي شكلت نقطة تحول في العلاقات الدولية. وكيف رسخت لمفهوم صدام الحضارات، ومن ثم التعرف على طبيعة أحداث باريس جانفي 2015 والآثار التي نجمت عنها. وكيف انعكست هذه الأحداث على باريس والاتحاد الأوروبي من جهة، والدول الإسلامية والعربية عموما من جهة ثانية. وهذا عبر تقسيم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث تتناول ما يلي:

- المبحث الأول : العلاقات الأوروبية العربية اثر أحداث 11 سبتمبر
- المبحث الثاني : الرؤية الأوروبية بعد أحداث شارلي ايبدو
- انعكاسات هجمات شارلي إيبدو على العلاقات الأوروبية العربية

المبحث الأول: العلاقات العربية الأوروبية إثر أحداث 11 سبتمبر

ما لبثت أن وقعت أحداث 11 سبتمبر عام 2001، إلا واحتدم النقاش وثار الجدل حول أسبابها والعوامل التي أدت إلى إنتاجها. وتباينت التحليلات في تفسير تداعياتها والتي طالت بدورها كافة مجتمعات دول العالم على حد سواء. وقد مثلت هذه الأحداث نقطة تحول محورية في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة ولكون العالم شهد بعدها متغيرات سياسية واقتصادية وقانونية وثقافية ... وغيرها. وقد تنوعت زوايا مقاربة الحدث وتفسيراته، من الديني والسياسي، إلى الحضاري والثقافي–النفسي والبنائي. لتخرج بنتائج مختلفة ومتفاوتة.

المطلب الأول: أحداث 11 سبتمبر وأطروحة صدام الحضارات

لقد منحت أحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة مصداقية أكثر لمقولة هنتنغتون، حيث أفردت له مجلة The Atlantic Mouyhly مقالا عن حياة ونظرية هنتنغتون، بعنوان "جورج بوش وجه دعوة للنبي لإلقاء محاضرة في البيت الأبيض أواسط سبتمبر 2001"، حيث علقت الصحيفة أن نظرته الباردة لحقيقة العالم، والتي كانت دائما موضع جدل برهنت الأحداث على صحتها.[1]

لقد ساهمت أفكار هنتنغتون في صناعة رأي عام غربي يرفض التعايش مع الحضارات والأمم الأخرى وبالتالي اتخاذ مواقف مجتمعية غربية من المهاجرين الذين يعيشون في الغرب، خاصة في ظل الهجمات التي تعرضت لها الدول الأوروبية في عدة مناسبات، مثل اعتداءات باريس، اعتداءات مدريد ولندن والتي اتهمت في ضلوعها شخصيات عربية إسلامية مقيمة بالدول الأوروبية، فزاد ذلك من خوف الأوروبيين من المهاجرين، وتنامي النزعة العنصرية ضدهم من خلال تنامي نفوذ الأحزاب اليمينية. فانعكس ذلك على

[1] فاطمة لكعص، «أحداث 11 سبتمبر 2001 وانعكاساتها على المنظومة الحضارية العربية والاسلامية»، مذكرة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2008. ص 28

موقف السلطات والحكومات الأوروبية من المهاجرين وقضية إدماجهم لتحول سياستها من السعي لإدماجهم إلى السعي لطردهم بمختلف الوسائل.

لقد اتفق هنتنغتون وفكره مع توجهات الأحزاب اليمينية الأوروبية. حيث برر سلوكاتها برغبتها في الحفاظ على هويتها.

وقد لعبت السلطة الرابعة دورا جوهريا في تكوين سلطة نمطية سيئة عن الإسلام والعرب، كما ساهمت القنوات التلفزيونية في خلق جو أدى إلى موقف سلبي اتجاه الإسلام، حيث قدم الإسلام السياسي كمرادف للإرهاب. كما أن الأغلبية يعتبرون الإسلام كدين أجنبي، والمسلمين كأصوليين نشيطين أو إرهابيين لا يمارسون إلا لغة العنف، كما وصفت جريدة لوموند ديبلوماتيك Le Mond Diplomatique المسلمين في أوروبا بأنهم يشكلون "قنبلة موقوتة ضد الغرب".[١]

وفي هذا الإطار يرى الباحث الفرنسي "فرانسوا بورغا" أن الإعلام الأوروبي يسعى دائما إلى إبراز الوجه السيئ للإسلام بدلا من إبراز الوجه الإيجابي، كما يركز على العناصر والحركات غير المنضبطة ونسبها دائما إلى الإسلام.وفي تقرير صدر عن المجمع الفرنسي ضد الإسلاموفوبيا، عن وضع المسلمين في فرنسا ينظر إليه على أنه ظاهرة اجتماعية جديدة ضد الحداثة، ضد الجمهورية، معادي للعلمانية، وضد الديمقراطية. [٢]

إضافة إلى المقالات الصحفية والقنوات التلفزيونية، ساهمت التصريحات الرسمية التي تبثها وسائل الإعلام في تشويه صورة الإسلام والمسلمين. كما أن رغبة الأحزاب اليمينية ذات النزعة العنصرية (المستندة إلى نظريات سمو الجنس الأوروبي على باقي الأجناس). في الحفاظ على نقاء مجتمعاتها من العناصر

[١] محمد عابد الجابري، مسألة الهوية والعروبة والإسلام ... والغرب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995. ص 180

[2] Ouria Sheherazade Kahil, rapport sur l'islamophobie en France: collective contre l'islamophobie, 2008. P 4 www.islamophobie.net

الدخيلة التي تختلف عنها عرقيا ولغويا وثقافيا دفع بها إلى شن حملات دعائية ضد الجاليات والمهاجرين المتواجدين في أوروبا، فكانت الجاليات العربية الإسلامية أكثر أقلية عرقية من حيث العدد ومن حيث الاختلاف الحضاري، تعرضا لحملات التشويه والدعاية من قبل الأحزاب اليمينية الأوروبية، فقد أعربت الجبهة الجبهة الوطنية الفرنسية أن القيم الإسلامية لا تتفق مع قيم المدنية الفرنسية، وقد حكم على رئيسها "جان ماري لوبان" بغرامة مالية إثر نشره مقال صحفي على التحريض على كراهية الأجانب في أفريل 2004، كما اتهم حزب الشعب اليميني في الدنمارك المسلمين بأنهم يقوضون القيم الديمقراطية وينادون بالعنف، وفي تصريح رئيس حزب لائحة بيم فورتاين جاء فيه "أجد الإسلام بأنه ثقافة متخلفة"، كما صرح بقيام حرب باردة جديدة ضد الإسلام.[1]

كما ساهمت أحداث 11 سبتمبر 2001 في تعزيز موقف الأحزاب اليمينية وتأكيد صحة طرحها حول الإسلام مما منحها مصداقية أكبر في الانتخابات، ففي انتخابات المجلس النيابي الأوروبي في 2006 استطاع اليمين من أحزاب المسيحيين والمحافظين أن يشكل الكتلة الأكبر بعد أن كانت لمدة سنوات في أيدي الأحزاب اليسارية من الاشتراكيين والديمقراطيين. وفي الانتخابات الرئاسية لسنة 2002 تمكن ممثل حزب الجبهة الوطنية جان ماري لوبان ولأول مرة في تاريخ فرنسا من المرور إلى الدور الثاني بـ 5.5 مليون صوت رفقة جاك شيراك. [2]

تكمن خطورة النجاحات الانتخابية التي حققها اليمين المتطرف في الدول الأوروبية في كونها منحتها مقاعد وزارية في الحكومات الأوروبية. وفي بعض الدول الأوروبية أصبحت تشكل أول أو ثاني قوة سياسية. ففي سويسرا يحتل الحزب الديمقراطي للوسط 55 مقعد من بين 200 مقعد في المجلس الوطني، أما في

[1] علاء الحمارنة، «المسلمون في أوروبا–خريطة التمييز»، تقرير إتحاد هلسنكي العالمي، مجلة دراسات استراتيجية، العدد 1، جانفي 2006. ص 95

[2] غالية بن زيوش،«الهجرة والتعاون الاورومتوسطي منذ منتصف السبعينات»، مذكرة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2005. ص 88

النرويج فيحتل حزب التقدم المرتبة الثانية في الانتخابات التشريعية 2009، إن تنامي تأثير الأحزاب اليمينية في المجتمعات الأوروبية انعكس سلبا على وضع الجالية العربية الإسلامية، وزاد من مشاعر الخوف والكره ضدهم.

تمثل الاعتداءات التي وقعت على برجي التجارة العالمية في سبتمبر 2001 نقطة تحول في العلاقات بين الدول الغربية والعربية الإسلامية، المتهمة بضلوع أفرادها في تلك الأحداث مما منح الولايات المتحدة الحق التاريخي للرد على مثل تلك الهجمات من خلال استراتيجية الحرب ضد الإرهاب، مستعملة الحرب الاستباقية (الوقائية) كوسيلة تحول دون تكرار مثل هذه الهجمات في المستقبل، ويؤكد هذا الطرح "باسكال بونيفاس" حيث يؤكد «أن أحداث 11 سبتمبر وتهديد الإرهاب الإسلامي، مهدوا لفكرة قيام حرب مابين الحضارات بين العالم الغربي والعالم الإسلامي».[1]

لقد أثرت تلك الأحداث على مفهوم التهديد والخطر، فعندما يصبح تحديد مفهوم التهديد الإرهابي في الصراعات الدولية الحالية قائما على أساس ثقافي وليس على أساس إيديولوجي، أو اقتصادي، أو سياسي يضع المواطن الأوروبي القيم والمعتقدات. كما تبنت الدول الأوروبية الإجراءات القمعية التي سنتها الولايات المتحدة للقضاء على الخطر الإسلامي في أراضيها، ففي 28 سبتمبر أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار رقم 1373، الذي يتضمن طلب كتابة الدولة الأمريكية، عن طريق الأمم المتحدة من حلفائها تبني نفس الإجراءات القانونية كالولايات المتحدة (وذلك دون مراعاة مدى احترام تلك الإجراءات للمعاهدات الدولية الخاصة بحماية حقوق الإنسان). وقد طبقت 55 دولة (بما فيها فرنسا من خلال «القانون حول الإجراءات الأمنية اليومية ») بعض إجراءات قانون باتريوت الأمريكي «U.S Pateriot Act» في نظامها القانوني الداخلي.[2] وهذا ما أدى إلى اهتزاز الواقع الأمريكي حكومة وإعلاما وشعبا فحسب، بل ليكشف عن البنية

[1] Ouria Sheherazed kahil, Ibid, p 8
[2] Thiery Meyssan, 11 septembre 2001 L'effroyable imposture, Paris: éditions Carnot, 2002. P 135

الأخلاقية، الفكرية، والاجتماعية الضعيفة للمجتمعات الغربية ومدى هشاشة مبادئ المساواة والحرية واحترام الأديان التي تتباهى بها. وقد بذلت وسائل الإعلام جهودها من أجل ترسيخ صورة الإرهاب بالمسلمين وإنه جزء من تعاليم الإسلام وأن الإرهاب يمثل جانبا من شخصية المسلم. وأن تربية المسلم ومفاهيم الموت والحياة تسهل قبول العمليات الانتحارية، وأن الإسلام نفسه يقبل ويتسامح مع الإرهاب ويسميه جهادا.

أصبح من الضرورة حسب هنتنغتون أن تعتنق الشعوب نظام الديمقراطية، وهذا لن يتم إلا عن طريق الكراهية الشديدة لعدو خطير الذي يشكل الخطر المحدق. وفقط عن طريق الكراهية الشديدة للخصم المسلم أن تنضم القيادات للقوميات الغربية جنبا إلى جنب وكتفا إلى كتف لتحقيق هذا، وبعد انهيار الشيوعية يعتبر العدو الجديد الدول الإسلامية فقط والحضارة الإسلامية.[1] إن أحداث الحادي عشر سبتمبر قد رسخت لمفهوم صدام الحضارات الذي طرحه هنتنغتون حيث أن نتيجة أحداث 11 سبتمبر 2001 أصبح مفهوم الخطر الإرهابي يقوم على أساس لمفهوم جديد حول الخطر أو التهديد.

لقد أدرك الإتحاد الأوروبي بعد أحداث الحدي عشر من سبتمبر ونظرا لتعدد الثقافات والقوميات داخله ضرورة خلق سياسة خارجية تتماشى تراعي هذا الاختلاف وتتجه نحو دول الجنوب، وذلك من أجل تفادي الصراعات مستقبلا معها، كونها تشكل مصدر خطر له.

المطلب الثاني: العلاقات الأوروبية العربية في ظل حوار الثقافات

شعار "الحوار" شعار نبيل ومعقول، وهو الذي يقدم في مواجهة شعار " الصراع" الذي يرفضه "الجميع" اليوم، مظهريا على الأقل.

[1] أندرياس فون بيلوف، The CIA براءة العرب والمسلمين من أحداث 11 سبتمبر ودور أجهزة المخابرات، تر: سيد حسان أحمد، الاسكندرية: منشأة المعارف، 2004. ص 237

ومن هذا المنظور سنناقش مفهوم "حوار الثقافات" السائد اليوم، فنقول: "الحوار" بين الحضارات، أو الثقافات، إما يكون عفويا تلقائيا نتيجة الاحتكاك الطبيعي فيكون عبارة عن تبادل التأثير، عن أخذ وعطاء، بفعل الصيرورة التاريخية، على غرار ما يحدث بين الحضارة الغربية والإسلامية، ما يحث بين الأوروبا والعرب.

أما إن كان المقصود هو تنظيم حوار إرادي مخطط له بين أهل هذه الحضارة أو تلك. فإن الأمر ليس بالبساطة التي يظهر بها في بادئ الأمر . ذلك لأن "أهل حضارة" ما ليسوا جميعا على وفاق فيما بينهم، لا إزاء بعضهم بعضا ولا إزاء الغير، بل هم مجموعات مختلفة يقوم بينها خلاف بصورة أو بأخرى وإذا نحن اقتصرنا هنا على التصنيف الشائع إلى "يمين" و "يسار" أو رأسماليين وكادحين فإن الذي يحصل أن كل صنف في أية حضارة يتحالف مع مماثله في الحضارة الأخرى ضدا على خصومه في الحضارة التي ينتمي إليها. وهذا يصدق أيضا على التصنيفات الأخرى التي تقوم الدين أو العرق وما إلى ذلك.[1]

هذه أمور ليست افتراضية بل هي واقع يفرض نفسه، وقد أبرزه كتاب غربيون ممن ينتقدون نظرية "صدام الحضارات" مخترقين مفهوم "الغرب" نفسه. ففي مقال كتبه باحث أمريكي من جامعة متشغن، يرد فيه على دعاة المواجهة بين الإسلام والغرب، نقرأ ما يلي: « إن على المسلمين خاصة أن يدركوا أن هناك قلة من الغربيين، بمن فيهم كاتب هذا المقال، تذهب مدى بعيدا فيما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الغرب وبين المسلمين المحافظين، وذلك من أجل مواجهة تحديات الحداثة التي تلح إلحاحا وتهددنا جميعا في أيامنا هذه ». كما أننا بحاجة إلى أولئك "الحداثيين" في الغرب ضد ما يمكن أن يعبروا عنه هم أيضا بـ: «تحديات الأصولية التي تلح علينا إلحاحا وتهددنا جميعا».

[1] محمد عابد الجابري، «لكي لا يبقى شعار حوار الحضارات مفهوما ملتبسا!»، متحصل عليه:
http://www.aljabriabed.net/maj-dialogalogcivil.htm

كل من "حوار الحضارات" أو "حوار الثقافات" شعار يمكن أن يكون غير بريء، وهو في جميع الأحوال مفعم بالغموض و الالتباس. إن جوهر القضية المطروحة اليوم بالنسبة لعلاقة الغرب بالعرب والمسلمين هو "المصالح": مصالح الغرب، وفي مقدمتها النفط والموقع الاستراتيجي والسوق العربية...الخ.[1]

إذ أنه كما للغرب مصالح في بلاد العرب، فإن للعرب حاجة للغرب لدعمه حتى يتقدم، فمثلا لا قيمة للنفط العربي ما لم يشتريه الغرب، ويشكل الحوار العربي الأوروبي إحدى النتائج الجانبية لحرب أكتوبر 1973، ولأزمة الطاقة العالمية التي رافقته ذلك إن دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية، بسبب كونها الشريك التجاري الأكبر للدول العربية، والتي كانت أول من أدرك أهمية الأبعاد السياسية لحرب أكتوبر وفداحة النتائج الاقتصادية لحظر تصدير النفط العربي. ولهذا أعلنت الدول الأوروبية عن عزمها على القيام بدور سياسي واقتصادي على أساس المساعدة في البحث عن حل سياسي للصراع والإسهام في تنمية العالم العربي، ولأن العرب جادون في سعيهم نحو تحقيق السلام، فقد رحبوا بالمبادرة الجديدة وتجاوبوا معها. وقد كانت بمثابة اللبنة الأولى في بناء الحوار العربي الأوروبي.

لقد انطلقت في بروكسل فعاليات مؤتمر الحوار العربي الأوروبي في القرن الواحد والعشرون، نحو رؤية مشتركة حيث تم التركيز على أهمية التنمية البشرية لصنع السلام حيث إن هناك ارتباطا روحيا كما أن هناك علاقات معقدة بين العرب والغرب وعليهم أن يصلوا إلى نقاط التقاء. وكان المؤتمر فرصة لاقتراح أفكار ومناقشة تصورات كبيرة تخدم الالتقاء بين الشعوب. حيث أن الحوار يعتبر جاذبا للدول لتحقيق الوحدة من خلال التنوع، والاتحاد القائم على الحق بالاختلاف، ويؤسس لشراكة مبنية على المصلحة الجماعية، والفهم المشترك. من خلال الاقتناع بأن عالم اليوم يواجه مشكلات عديدة على العالمين العربي والغربي التعاون

[1] محمد أغليمو، «حوار الثقافات ضرورة استراتيجية»، 2005/05/11. متحصل عليه:
http://arhlimou.wordpress.com

لحلها. مشكلات مثل المرض، الأمية، الفقر، الفُرقة وان تستطيع البشرية ان تواجه هذه المشكلات ما لم تهدم ما بينها من حواجز الكراهية، ونزعات الإقصاء، والتطرف الديني والمذهبي.

ولن يكون هناك مستقبل زاهر للبشرية ما لم ينزع كل فريق من نفسه اوهام التعالي والرغبة في الهيمنة، وإلغاء الآخر[١].

إن قوى الخير في العالم هي أكثر وأقوى من قوى الشر والظلام، وإننا بتعاوننا سينتصر الحق على الباطل، والسلام على الحرب، والعدالة على الظلم. وهذا يتطلب احترام التنوع والتسامح والعدالة وحقوق الإنسان، ويستدعي التعاون والتفاعل وبناء الثقة من خلال نزع السلاح وتسوية النزاعات بشكل سلمي. ومحاربة الجماعات الإرهابية حيث أن الإرهاب لا دين له ولا جنسية،وبالتالي فالجميع مطالب بمد جسور التفاهم والتعاون.

وإذا كان ثمة اختلاف في الزي والعقيدة بين العرب والأوربيين فلن يكون هذا سببا للصراع والكراهية.ذلك أن الاختلاف سنة من سنن الحياة، وقد اختلفت الأديان والعقائد والأفكار الكبرى والزعامات التاريخية لأن الحياة تقوم على مبدأ التنميط، وتتأسس على مبدأ الاختلاف.[٢]

نظرا لتغير الرؤية الأوروبية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 أدرك بأنه يجب الاتجاه نحو خلق حوار ثقافي مع دول الجنوب والتي تعتبر سياسة أمنية لتفادي صدام الثقافات.[٣] ولقد أسس لقاء "أثينا 2008"

[١] عيسى جابلي، «الحوار العربي الاوربي»، يومية الدستور، الشركة الأردنية للصحافة والنشر، العدد 17540، السنة 50، 2006/05/13.

[٢] محمد عابد الجابري، «حوار الحضارات»، مجلة فكر و نقد، العدد 44،ديسمبر 2001.

[3] «CULTURR AND THE EXTERNAL RELATIOS AND POLICIS OF THE EUROPIAN UNION », web link: https://static1.squarespace.com

للرؤية الأوروبية تجاه دول المتوسط حيث وضع ما سمي بالإستراتيجية الثقافية وفق مبدأين: الحوار الثقافي والسياسات الثقافية من أجل بعث حوار ثقافي في المتوسط.[1]

[3] Relais Culture Europe, «The place of culture in the European Union´s external relations », scene ouverte, Mrseilles, 2008.p 4

المبحث الثاني: الرؤية الأوروبية بعد أحاث شارلي إيبدو

لقد شكلت أحداث باريس جانفي 2015 صدمة لفرنسا والدول الأوروبية، حيث اعتبرتها عملا إرهابيا وتعديا صارخا على حرية الإعلام، كما خلفت هذه الأحداث آثارا على ترتب عليها تحولا فيما بعد في رؤية أوروبا للجاليات الاسلامية والعرب عموما.

المطلب الأول: طبيعة هجمات باريس جانفي 2015

انشغل الرأي العام و قنوات الإعلام العالمية بحادثة قتل صحفيين يعملون في جريدة "شارلي إيبدو" الفرنسية على يد متطرفين إسلاميين، بسبب منهج الصحيفة القائم على نشر صور مهينة للرموز الدينية. – و منها الإسلامية – بشكل متكرر. و الأصداء الواسعة التي حازتها هذه الحادثة تجعل المتتبع يظن أنها حادثة توازي حادثة تفجير برجي التجارة التي شهدتها أمريكا من حيث الأهمية الأمر الذي يشير الظن بأن ما حصل سوف يترتب عليه من التبعات ما يشابه التبعات التي ترتبت على الحادثة الأمريكية على الصعيد العالمي.

و ردود الفعل الأولى و التداعيات القريبة التي شهدتها حادثة "شارلي إيبدو" لم تكن هينة، الأمر الذي يدعونا إلى التساؤل: هل أنها حادثة مقصودة لتحقيق أهداف غير معلنة؟ ....

ذكر موقع قناة المنار موجزا عن تاريخ صحيفة "شارلي إيبدو" في مقال نشره بتاريخ 2015/01/12 جاء فيه: لطالما اشتهرت " شارلي إيبدو " بمضمونها و خطابها الاستفزازي، حيث أشعلت جدلا كبيرا في صفوف الرأي العام الفرنسي خيم عليه سؤال أساسي: هل أن طريقة التعبير الاستفزازية و الاستعراضية هذه

تخدم أو تسيء لحرية التعبير و الديمقراطية؟. الصحيفة المعروفة التي أعادت تراث الكاريكاتير الساخر والمناوش دوما لكل الأديان، حتى وصفت بأنها الأكثر استفزازا.[1]

ففي نوفمبر 2011، أصدرت الصحيفة عددا خاصا بعنوان «شريعة إيبدو» أعلنت فيه النبي محمد "رئيس تحريرها الشرفي"، ناشرة رسمة ساخرة مع تعليق «100 جلدة إن لم تموتوا من الضحك ». أثارت الرسمة و العدد موجة من الاحتجاجات أدت إلى إحراق مكاتبها و تعرض موقعها على الأنترنت للقرصنة وفي سبتمبر 2012 قررت "شارلي ايبدو" نشر رسوم كاريكاتورية للنبي (ص) بعد مرور أسبوع على اندلاع موجة احتجاجات ضد الفيلم الأمريكي المسيء "براءة المسلمين".

الجريدة استمرت في مواقفها الساخرة من الأديان، و رأت أن سخريتها من المسلمين تدخل في اطار حرية التعبير، بما أنها يخصص لكل جماعة أو فرد جزءا من سخريتها.

جاءت العمليات الإرهابية على صحيفة " شارلي إيبدو " لتؤجج الوضع المتأزم في الأصل إن هذه العملية و ما شابهها لا تثير خلافات جديدة في الحقيقة. و لكنها تفجر خلافات قديمة لم تحسم منذ زمن. ويبدو أن كثيرا من الفرنسيين قد تناسوا قولا شهيرا لمفكر فرنسي كبير هو مونتيسكيو حيث قال: «تنتهي حريتك، عندما تبدأ حرية الآخرين » ففي صباح (2015/01/07) اقتحم مسلحين – قيل فيما بعد أنهم الأخوين سعيد و شريف كواشي و هما فرنسيين من أصل جزائري – مجلة شارلي ايبدو في باريس، و أطلقا الرصاص على الصحفيين و المحررين في المجلة حيث تم قتل (12) شخصا و جرح آخرين. [2] ويذكر أن الأخوين لهما علاقة بتنظيم القاعدة، الذي أعلن لاحقا عن تبنيه لهذه العملية انتقاما من المجلة، لنشرها سابقا رسوما كاريكاتيرية مسيئة للرسول (ص). و بالتوازي مع أحداث مجلة شارلي ايبدو. قام فرنسي من أصل

[1] حيدر محمد الكعبي، «حادثة شارلي ايبدو»، مجلة الرصد، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد 15، جانفي 2015

[2] ـــــ «Comment s´est deroulée l´attaque contre "Charlie Hebdo" » , 08/01/2015, web link: www.lemond.fr

سنغالي باحتجاز عدد من الرهائن في متجر للأطعمة اليهودية. و تم قتله من طرف القوات الفرنسية بعد قتله لأربعة من الرهائن.لاشك أن أحداث شارلي ايبدو مثلت نقطة فارقة لن تكون علاقة فرنسا بعدها بالعالم العربي و الإسلامي كما كانت من قبل. لقد أثارت هذه الأحداث ردة فعل عميقة في الشارع الفرنسي والغربي عامة حيث اعتبر الإعلام الغربي أن هذه العملية فيها محاولة تجاوز صارخ على حرية التعبير و العلمانية وطريقة عيش الغرب، و على قيمة الحرية "مجزرة إرهابية".كما أنه لا يجوز للمسلمين و بالذات المهاجرين للغرب. أن يفرضوا دينهم و أرائهم على مجتمعات ليسوا من نسيجها الأصلي. و تأتي هذه العملية لتعزز "الاسلاموفوبيا" لدى الغرب. حيث بدأت صورة الإسلامي التقليدي بالرسوخ لدى الكثيرين هناك، بأنه ذلك الشخص الخشن و الذي يحتقر النساء و القانون و الحضارة و الحرية، و يلبس زيا عربيا تقليديا، رغم و جود ؟أصوات عقلانية متنورة في الغرب تضع الأمور في نصابها، إلا أنها بدأت تضعف شيئا فشيئا. و ربما جاءت المخاوف من أن هذه العملية جاءت بأيدي مهاجرين مسلمين إلى فرنسا، و إن كانوا مواطنين مما يعني أن الخطر داخل دول الاتحاد الأوروبي و ليس قادم فقط من خارج الحدود.

من جهة أخرى تأتي هذه العملية لتزيد صعوبة عيش المسلمين في الغرب و بالذات في فرنسا حيث ستزيد عزلتهم و سوف ترتفع الأصوات المتطرفة و الراغبة بطرد المسلمين، أو الحد من بناء المساجد و لبس الحجاب، و أي حريات دينية أخرى للمسلمين. [1] وقد أعرب أفراد من الجالية الإسلامية في فرنسا عن مخاوفهم بشأن رد محتمل بعد حادث إطلاق النار المميت في مقر مجلة "شارلي ايبدو" و تواتر أنباء عن وقوع حوادث في عدة مساجد في جميع أنحاء البلاد. و قال عبد الهاز كري. رئيس المرصد الوطني لمكافحة الإسلاموفوبيا، إنه قلق إزاء إمكانية ارتكاب أفعال معادية للمسلمين.

[1] مركز برق للأبحاث و تقنية المعلومات، «(رسائل عبر الجثث) أحداث شارلي ايبدو»، متحصل عليه: http://Bark-rs.com

يعد الهجوم على مكاتب صحيفة شارلي ايبدو، واحدا من الهجومات الأكثر دموية في تاريخ ردود الأفعال العنيفة و التهديدات ضد وسائل الإعلام سخرت من الدين الإسلامي. و حتى و إن لم تكن مؤيدة لما نشرته "شارلي إيبدو" اتفقت أغلب الآراء الرسمية و غير الرسمية، العربية و الغربية، على أن هذا الهجوم على الصحيفة الفرنسية أمرا مرفوض رفضا قاطعا، و لا يمكن إيجاد مبرر له بأي حال من الأحوال، و نشر الرسوم المسيئة للمسلمين من قبل المحلة الساحرة، يجب الرد عليه في إطار الحوار و الإقناع و توضيح حقائق الإسلام و تبيان حرية التعبير، استنادا إلى القانون الدولي و مبادئ القانون الدولي و قرار الأمم المتحدة بشأن مناهضة تشويه صورة الأديان و غير ذلك من الردود الدموية و الإرهابية ستدفع ثمنها باهظا الجارية العربية في الغرب التي ستجد نفسها سجينة خلف أصوار إسلاموفوبيا.[1]

و قد سبقت هذه الهجمة عدة هجمات. و في 2015 و الذي اعتبر عاما دمويا حيث قبل انقضاء أسبوعه الأول تعرضت صحيفة شارلي ايبدو لاعتداء في قلب مقرها حيث لقي 12 شخصا حتفهم، ثم في عملية أخرى قتلت فيها شرطية جنوبي باريس خرجت الدولة بكل ما فيها من احترازات أمنية و إجراءات وقاية كما شهدت باريس في 11 جانفي مظاهرة شعبية رسمية حاشدة تجاوز صداها الآفاق الفرنسية و شارك فيها رؤساء و ممثلو دول نددو بالإرهاب تضامنا مع فرنسا. هذه المسيرة المليونية أريد بها تحويل أحداث باريس إلى "سبتمبر باريسي" فهل يغير هجوم شارلي ايبدو فرنسا و أوروبا كما غيرت أحداث سبتمبر الولايات المتحدة.

[1] أيمن عبد المجيد،«الجارية المسلمة أول المحترقين بنار حادثة شارلي ايبدو»، جريدة العرب، العدد 9792، السنة 37، 2015/01/09.ص 7

وفي ما يلي جدول لأكثر الهجمات دموية في فرنسا

07 جانفي 2015	اعتداء مسلح على صحيفة شارلي إيبدو في باريس (12 قتيل)
02 مارس 2012	اعتداء محمد مراح على مدرسة اوزار حتوراه اليهودية (3 قتلى)
مارس 2012	قتل مجموعة من المظليين على يد محمد مراح
03 ديسمبر 1996	تفجيرات في شبكة إر أو إر الحديدية (4 قتلى 21 جريح)
أكتوبر 1991	استهداف محطة سان ميشيل و متحف أورسي ميزون (8 قتلى 119 جريح)
17 سبتمبر 1986	تفجيرات محلات شارع رين في باريس (7 قتلى 55 جريح)
31 ديسمبر 1983	انفجارات في محطة سان شارل و قطار في تان ليرميتان دروم (3 قتلى و 3 جرحى)
15 جويلية 1983	انفجار في مكاتب تسجيل الخطوط التركية في مطار أورلي (8 قتلى 54 جريح)
09 أوت 1982	هجوم على مطعم جولدنبورغ في الحي اليهودي (6 قتلى 22جريح)
29 مارس 1982	تفجير قنبلة في قطار بين باريس و تولوز (8 قتلى 54 جريح)
03 أكتوبر 1980	انفجار قنبلة أمام كنيس يهودي في باريس (4 قتلى 20 جريح)
20 ماي 1978	إطلاق نار في مطار أورلي على مجموعة من المسافرين إلى تل أبيب (5 قتلى 3 جرحى)

الهجمات الإرهابية الأشد دموية في فرنسا

المطلب الثاني: آثار هجمات باريس جانفي 2015.

مهما كانت التسميات أو السيناريوهات و مهما كانت طبيعة هذه الهجمات، فإن الحقيقة المؤلمة تبقى أن الإسلام و المسلمين هم الضحية الأولى لهذه الجريمة التي قد تصبح نقطة تحول في تعامل الغرب ليس مع تنظيمات التطرف الإسلامي فحسب، بل مع دين الإسلام نفسه إلى جانب الجاليات الإسلامية بشكل عام: ذلك أن هذه الإشكالية الجديدة تهدد ما تبقى من صورة معتدلة للإسلام في العالم، وتنذر بتعويض الجسر التاريخي بين المعتدلين من العالمين الإسلامي و المسيحي الذي طالما كان "شبكة الأمان" للأغلبية الساحقة من المسلمين البريئين من هذه الأفعال.[1]

حيث يعيش المسلمون في فرنسا هذه الأيام حالة من القلق و الترقب بعد الاعتداء الدموي الذي تعرضت له مجلة "شارلي إيبيدو" وأودى بحياة الصحفيين و المواطنين الفرنسيين هذا القلق انتقل إلى كامل أوروبا بسبب توجيه أصابع الاتهام في هذه العملية إلى الإسلام بعدما أعلن تنظيم القاعدة في اليمن تبني هذا الاعتداء. ورغم دعوات الرئيس الفرنسي إلى الوحدة الوطنية وبعض النخب إلى عدم الخلط بين الإيلام وهذه الاعتداءات التي يقف وراءها المتطرفون، إلا أن ذلك لم يحم المسلمين بل أصبحوا مثار الريبة والشك، وصاروا ضحايا الاعتداءات المتفرقة ما يهدد سياسة الاندماج في هذا البلد و يؤجج مشاعر الكراهية ضد المسلمين والإسلام .

لقد تفاجأ المجتمع المسلم في فرنسا من الأفعال المعادية للمسلمين التي تتزايد منذ 7 جانفي 2015 بعد أحداث شارلي إيبدو. خاصة بعد الضغوط اليومية التي يعرفها الشارع الفرنسي، وكذا في مقر العمل ومترو الأنفاق و حتى المطار. لقد تعددت القراءات وتضاربت الآراء في الوصف الحالي للوضع الذي يعيشه أعضاء الجالية المسلمة بفرنسا. خاصة بعد انفجار أي حدث من الأحداث التي تحمل طابعا إرهابيا.

[1] ـــــ ، «مجزرة شارلي إيبدو : المسلمون هم الضحية الأولى »،القدس العربي، 2015/1/8 . متحصل عليه : www.alqufs.co.uk

إذ تصاعدت لهجات الخطابات العدائية داخل المجتمع الفرنسي أمام تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا وانتشار التمييز و العنصرية. [1] إذ لا يزال الغرب يدعون الديمقراطية واحترام الحريات و الديانات، بينما يطلقون أفكارهم العنصرية ضد الإسلام. وعلى اثر تصريح رئيس المرصد الفرنسي لمناهضة الإسلاموفوبيا التابع للمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية "عبد الله زكري". على أن الشارع الفرنسي يشهد منذ أحداث شارلي إيبدو ارتفاعا غير مسبوق في حالات الإسلاموفوبيا وذلك بالتزامن مع تنامي ظاهرة الاعتداءات ضد مسلمي فرنسا.[2]

وبالرغم من إدانة المسلمين للهجوم الإرهابي على المجلة الفرنسية و مشاركتهم بكثافة في المسيرات الضخمة التي شهدتها فرنسا المنددة بالإرهاب إلا أن الاعتداءات العنصرية تصاعدت ضدهم. أمام هذا الوضع دعا المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية إلى عدم اتخاذ جميع مسلمي فرنسا بما فعله مرتكبو الهجوم.ورغم كل الدعاوي بالتزام أقصى درجات الحذر و التريث وعدم التصعيد وعدم الاقتناع بأن الإرهاب مرتبط بالإسلام، إلا أن المصالح الغربية تعطي تغذية راجعة للإسلاموفوبيا، وأجمع العديد بأن ما يعانيه المسلمون في أوروبا يعود إلى مستوى تمثلهم لقيم الإسلام. [3] و إذا كان هناك تخوف من تأثير هذه الهجمات على المسلمين ليس في باريس فحسب بل في أوروبا كلها خصوصا من أولائك الذين يتبنون فكرا يمينيا متطرفا وعداء للأجانب و خصوصا العرب و المسلمين. إذ لم يشفع لهم تواجدهم واستقرارهم لسنوات طويلة إذ أن هذه الهجمات قد أثرت على مستقبل الإسلاميين سواء الأكاديمي (طلبة) أو المهني (عمال، موظفين..) إذ أصبح هناك تدقيق كبير في السير الذاتية وطلبات التدريب و العمل التي يتقدم بها العرب المقيمون في البلاد

[1] نوال ثابت ، « الجالية المسلمة في فرنسا.."لوبي" عملاق نائم»، جريدة الخبر، 2015/08/14 .

[2] خولة. ب، «حالات الاسلاموفوبيا في ارتفاع مستمر بباريس »، يومية الرائد، العدد 856، 2015/01/21

[3] سناء القويطي، مريم التايدي، «إرهاب "التطرف" و إرهاب "الاسلاموفوبيا" »، جريدة التجديد، العدد 3561، الأحد 16- 18 جانفي 2015.

و الفرنسيون من أصول عربية. إذ أصبحت المقاربة الأمنية حاضرة بقوة في تعامل المؤسسات مع طالبي التدريب و العمل بسبب تنامي ظاهرة موجة العنصرية والعداء ضد العرب.

فمنذ الاعتداء على المجلة الفرنسية، تصاعدت حملة التخويف من الإسلام، وتم تسجيل نحو 54 اعتداء تعرضت له هيئات ومساجد إسلامية في فترة قصيرة حسب ما أعلن عنه المجلس الإسلامي لفرنسا، ومن بين تلك الاعتداءات " 21 واقعة إطلاق رصاص، وقنابل، تهديدات لهيئات و منظمات إسلامية بلغت 33 تهديدا، إلى جانب سب المسلمين بشكل غير مسبوق، إضافة إلى الرسوم العنصرية على جدران عدد من المساجد و الهيئات ".

أما في الجانب الإعلامي فقد توالت ردود الفعل العربية والدولية في استنكار لهذا الهجوم، وقد حفلت مختلف وسائل الإعلام بعبارات التنديد وقد انطلقت الحفلات الإعلامية في كافة العالم وكذا رفع الجميع شعار "Je suis Charlie" تضامنا مع ضحايا الاعتداء. في حين تم استغلال الموقف لصالح الجماعات المتشددة المعادية للإسلام و المسلمين في إدانتهم بهذا الهجوم واعتباره تعديا صارخا على الإعلام و حرية التعبير؛ على اعتبار أنما قامت به المجلة بنشر الصور المسيئة للإسلام، و أدى إلى الهجوم عليها بحسب ما ردده المهاجمون" لقد انتقمنا للنبي" هو من قبيل حرية التعبير الذي يكفله القانون.[1]

وبالرغم من الأوجه المتعددة لعملية "شارلي إيبدو" الإرهابية، وما تبعه ا من اعتداءات سواء لطرحها لقضايا الإرهاب عالميا، وحرية التعبير، وطبيعة الأجيال الجديدة لمسلمي أوروبا وغيرها. فإن أحد الأوجه الأخرى في الحادث تجلى في الاستغلال السياسي للعمليات الإرهابية من قبل بعض النظم الحاكمة لتحقيق

[1] عادل خالدي، «تباين ردود الأفعال العربية و الدولية اثر الهجوم على صحيفة شارلي إيبدو»، الوطن ميديا، 2015/01/07. متحصل عليه :
www.elwatanmedia.com

مكاسب، أو للتغطية على إخفاقات سياسية، اقتصادية، أو حتى تبرير سياسات سابقة أو مزمع اتخاذها. إذ زادت شعبية الأحزاب اليمينية المتشددة والتي استغلت الحادثة لتعود وبقوة للساحة السياسية.[1]

لقد بدا اليمين المتطرف بانتهاز الفرصة بإقناع الفرنسيين بعدم إمكانية التعايش الأوروبي– الإسلامي وأول ما بدأ به إعلان مؤسس حزب الجبهة الوطنية "جان ماري لوبان" نيته للترشح على رأس قائمة الجبهة الوطنية للانتخابات المحلية في جنوب فرنسا. [2] إن حالة القلق التي اعترت الجاليات العربية و المسلمة في أوروبا من أن يتأثر الشارع الفرنسي أكثر فأكثر بالخطاب اليميني، تعدت الجاليات المسلمة و العربية لتصل إلى مستويات سياسية دولية؛ إذ حذر الأمين العام للأمم المتحدة "بان كي مون" من القيام بأعمال انتقامية واستهداف المسلمين في فرنسا و أوروبا بعد تسجيل الاعتداءات التي طالت مراكز و أماكن إسلامية في مناطق متفرقة في فرنسا قبل وبعد الهجوم.

إلا انه ليس منطقيا التعلل بما حدث من هجمات إرهابية واعتبار ذلك ذريعة للتهجم على الإسلام والمسلمين. ففعل الإرهاب مجرم ومدان، وإسقاطاته هي على الجميع من عير استثناء، وهو لم يقتصر على أتباع دين دون غيره. و المسلمون هم أول ضحاياه، وهم الذين يقتلون بالعشرات يوميا على يد نظم ودول وحركات تمولها قوى إقليمية وغربية.

[1] ساطع نور الدين، «ما بعد شارلي إيبدو: "مسلمو أوروبا"بمواجهة اليمين المتطرف »، جريدة المدن، 2015/01/12. متحصل عليه :

www.almodon.com

[2] أحمد زكريا الباسوسي، «الوجه الآخر لـ "تشارلي إيبدو": التوظيف السياسي للأحداث الإرهابية في فرنسا »، السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، فيفري 2015. متحصل عليه :

www.siyassa.org.eg

المبحث الثالث: انعكاسات هجمات شارلي إيبدو على العلاقات الأوروبية العربية

لقد شكلت أحداث باريس جانفي 2015 صدمة للجانب الأوروبي الذي أصيب في عقر داره وفي وضح النهار، في مركز أحد أهم العواصم الأوروبية على الإطلاق، إذ بهذا الهجوم يكون التهديد الأمني قد وصل إلى قلب أوروبا، وأضحى من الضرورة بما كان إعادة النظر في الظاهرة الإرهابية التي تمادت في الاستفحال.

المطلب الأول : تأثير هجمات باريس على فرنسا و الاتحاد الأوروبي

لقد أثارت هذه الأحداث ردة فعل عميقة في الشارع الفرنسي و الغربي عامة حيث اعتبر الإعلام الغربي أن هذه العملية فيها تجاوز صارخ على حرية التعبير والعلمانية، وطريقة عيش الغرب، وعلى قيمة الحرية المقدسة لديهم، و التي دفع ثمنا غاليا للحصول عليها. هذا بالإضافة إلى كونها مجزرة إرهابية، كما لا يجوز للمسلمين وبالذات المهاجرين للغرب أن يفرضوا دينهم وآراءهم على المجتمعات الغربية، في محاولة لأسلمة أوروبا كما يقول العديد من المتطرفين العرب.

لقد جاءت هذه العملية لتعزز من ظاهرة "الاسلاموفوبيا" لدى الغرب حيث بدأت صورة الإسلامي التقليدي بالرسوخ لدى الكثيرين هناك، رغم وجود أصوات عقلانية متنورة في الغرب تضع الأمور في نصابها،إلا أنها بدأت تضعف شيئا فشيئا. وربما جاءت المخاوف من أن هذه العملية جاءت بأيدي مهاجرين مسلمين إلى فرنسا، إن كانوا مواطنين، مما يعني أن الخطر داخل دول الاتحاد الأوروبي وليس قادم فقدمن خارج الحدود.

ومن جهة أخرى تأتي هذه العملية لتزيد صعوبة عيش المسلمين في الغرب، وبالذات في فرنسا.[1] حيث تزيد عزلتهم وسوف ترتفع الأصوات المتطرفة والراغبة بطرد المسلمين، أو الحد من بناء المساجد ولبس الحجاب... . تعتبر فرنسا دولة محورية في أوروبا ومركزية بالنسبة للاستعمار في العالم الإسلامي، حيث استعمرت مناطق شاسعة من العالم العربي والإسلامي. وعند خروج الاستعمار بشكله المباشر، تم هجرة الكثيرين من هذه البلدان إلى فرنسا بالذات، حيث تقدر أعداد المسلمين في فرنسا والمقيمين بشكل شرعي أو غير شرعي بأكثر من سبعة ملايين شخص. ولطالما استفادت منهم فرنسا كأيدي عاملة نشيطة ورخيصة وكذلك في الجيوش الفرنسية، فيما كانت فرنسا تحارب على كثير من الجبهات. ولطالما عمل هؤلاء في الأعمال الدنيا في المجتمع الفرنسي، ولكن فور حدوث الأزمات الاقتصادية بدأ المجتمع الفرنسي يتململ من هؤلاء المسلمين. ومن جهة أخرى بدأ المجتمع الإسلامي بالبحث عن هويته وسط التهميش الاقتصادي الاجتماعي و الثقافي، نسب البطالة عالية، و الخدمات سيئة في مناطق المسلمين.

وأن الحكومة لا تشجع المسلمين الفرنسيين على الاندماج في المجتمع الفرنسي. و في خضم هذه الأزمة المادية و الثقافية للمجتمع الإسلامي في فرنسا. يصبح من السهولة تجنيد شباب فرنسيين مسلمين لغايات الجهاز سواء في سوريا أو العراق أو بلدانهم في العراق.

لطالما تباهت فرنسا بقدرتها على الدمج الثقافي، ودمج مواطنيها تحت مظلة المواطنة والقانون، ولكن يبدو أن هذه الحقبة أصبحت من تاريخ منذ مدة ليست بالقصيرة، حيث يعاني المهاجرون و بالذات المسلمون من تميز واضح، سواء على صعيد العمل أو الدراسة أو الخدمات في مناطقهم، أو حتى الحياة العادية. وأصبح انتشار خطاب الكراهية و العنصرية، و صعود الأحزاب و الحركات اليمينية و بالذات المتطرف

[1] محند برقوق، اليسار سيستخدم حادثة "شارلي ايبدو" كما استخدم بوش أحداث 11 سبتمبر، يومية النصر، http://www.annasronline.com/index.php :متحصل عليه.2015/01/21

منها، جزءا من الواقع الفرنسي و الأوروبي بشكل عام. حيث بدأت الجبهة الوطنية اليمينية المتطرفة في فرنسا – و هي مثال على الأحزاب و الحركات اليمينية المتطرفة في أوروبا – في الحصول على مقاعد أكثر في كل انتخابات برلمانية جديدة.[1] هذه الحركة التي تريد طرد المسلمين و تهميشهم و اضطهادهم، والاعتداء على رموزهم الدينية من حجاب و مساجد و غيرها.

إن صعود هذه الأحزاب و الحركات يشكل شرخا في المجتمع الفرنسي و المجتمعات الأوروبية، حيث لم يعد المسلمين كمواطنين يشعرون بالطمأنينة و المساواة بينهم و بين بقية الفرنسيين على قاعدة المواطنة، بل إن صعود هذه الأحزاب و الحركات بدأ بشكل ضربة للأحزاب اليسارية المعتدلة، التي تنادي بالدمج الثقافي و المساواة، مما يؤدي أن يضطر المسلمون إلى الانكماش و العيش داخل جيوب مغلقة لحماية ثقافتهم مما يزيد من حدة البعد بين مكونات المجتمع الواحد، و كلما استمر هذا الوضع سوف تتراكم الكراهية بين المسلمين و بقية عناصر المجتمع الفرنسي و الأوروبي، مما يسهل اختراق المتطرفين الإسلاميين للشباب المسلم في هذه البلدان، الذي يشعر أن لا مستقبل له في الغرب، و أنه مواطن من الدرجة الثانية.

كذلك إن هذه العملية قد امتد تأثيرها إلى حد المطالبة بتعديل اتفاقية (شنغن) حيث طالبت فرنسا و اسبانيا بالسماح للدول داخل الاتحاد الأوروبي بالتفتيش على حدود كل دولة على حدة [2]، بالإضافة للتفتيش على الإتحاد الأوروبي، بل إن أمريكا طالبت بعقد مؤتمر سريع لبحث تسارع العمليات الإرهابية في الغرب كل ذلك يؤثر على البنى السياسية و الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية والأمنية للعالم الغربي.

---

[1] محمود علي، هدير محمود، « "تفجيرات باريس" .. استغلال امريكي وغزو غربي وتحريض ضد المسلمين واللاجئين»، 2015/11/17،يومية البديل. متحصل عليه:
www.elbadil.com

[2] ـــــ ، «بعد هجوم شارلي ايبدو: الدول الأوروبية تنشر بيانا مشتركا حول "فيزا شنغن"»، يومية البلاد، 2015/01/11. متحصل عليه:
www.elbilad.net

لقد وسعت عملية شارلي إيبدو الهوة ليس فقط بين العالم الإسلامي و الغرب و لكن بين المسلمين أنفسهم، بين معتدل يرى أن علاج هذا التعدي و التجاوز على نبي الأمة و قائدها لا يكون بالقتل، حتى على من قام بهذه الإساءة.و لكن بالحوار و شرح هذا الدين أكثر. و من الواضح أنه من أكثر المستفيدين من هذه العملية بشكل أساسي هو إسرائيل حيث لطالما صورت نفسها كنقطة ضوء في وسط عربي إسلامي معتم. و أنها الدولة الوحيدة الديمقراطية في وسط استبدادي. إن هذه العملية ساعدت إسرائيل لتنصيب نفسها كوكيل لمصالح الغرب في المنطقة و أنها السد الأول في مواجهة التطرف و الإرهاب الإسلامي. و ما تقوم به من أعمال ليس فقط للحفاظ على وجودها فقط بل كذلك للحفاظ على مصالح الغرب و على ديمقراطيته و نمط عيشه و أمنه.

المطلب الأول : تأثير هجمات باريس على الدول العربية

من المرجح أن فرنسا ودول الاتحاد مقبلة على حرب مفتوحة وغير عقلانية ضد المسلمين وتطبيق سياسة الأرض المحروقة (التي اعتادت تطبيقها). وما يليها من شن حملة اعتقالات واسعة النطاق، والتضييق الممنهج على حريتهم الدينية بداية قبل هذا التاريخ بمنع الحجاب في المؤسسات التعليمية ومنع الرموز الدينية وبناء المآذن، وفتح المجال لحرية الإعلام المطلقة للمس بمقدسات الدين الإسلامي والسخرية من رموزه، ما يبرر انتشار الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بدعوى حرية التعبير.

ومن جراء أصداء هذا الهجوم، والأمر الذي لا شك فيه أن إسرائيل هي أول المستفيدين من هذا الهجوم، على إثر اعتراف البرلمان الأوروبي وبعض الساسة في فرنسا بفلسطين. وذلك لإثبات أن ما تقوم به إسرائيل من أعمال إرهابية والمجازر التي ارتكبت في حق الأطفال والنساء والشيوخ في فلسطين تقع في خانة "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها". وفي سياق متصل ستعمل بعض الدول الغربية وإسرائيل على قطع

الطريق على السلطة الوطنية الفلسطينية التي حققت نجاحا باهرا من خلال قبول عضويتها في العديد من المنظمات الدولية، من بينها منظمة اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية وأخيرا محكمة الجنايات الدولية.والمعركة الأصعب ستكون بعد قبول عضوية فلسطين في المحكمة الدولية. حيث إن الجانب الإسرائيلي لن يقف مكتوف الأيدي. [١]

ومن المستفيدين كذلك من الهجوم الأنظمة العربية التي ترفع شعار "محاربة الإرهاب" لأنها أصبحت في شراكة موضوعية من الحكومات الغربية تحت شعار "العدو المشترك". وسيرتب ذلك غضا للنظر عن التجاوزات بحق حقوق الإنسان في الحد الأدنى وتنسيقا أمنيا–سياسيا بين الحكومات الغربية والأنظمة العربية في الحد الأقصى.[٢]

وفي المقابل فإن اكبر المتضررين من عملية شارلي إيبدو، صورة الإسلام والمسلمين في العالم المختزلة في التطرف والإرهاب واللجوء إلى العنف، وتسويق هذه الصورة الخاطئة في وسائل الإعلام الغربي يساهم في مزيد من التعتيم والغموض بخصوص الدين الإسلامي وهذه مسؤولية الجماعات الإسلامية التي اختارت الجهاد وتكفير المجتمعات. وقياسا على ذلك فإن الجهات الخاسرة من هذه الحملة ضد الإرهاب، تيارات الإسلام المعتدل كالإخوان المسلمين في مصر والنهضة في تونس، فالتغطيات الإعلامية العامة عن "الإرهاب الإسلاموي" ستخط بالضرورة بين "داعش" و "القاعدة" والسلفيين و"الإخوان المسلمين"، وستتراجع الأصوات الغربية المطالبة بالتفاهم مع الجماعة وتمكينها من السلطة ـ كما جرى في المرحلة الأولى من "الربيع العربي"ـ في إطار تربية المصالح الغربية في الشرق الأوسط.

[١] وائل نور، «لهيب الارهاب من تونس إلى باريس...مأساة المهاجرين–انتفاضة السكاكين و "نكبة" روسيا»، الشروق أونلاين، 2015/12/31. متحصل عليه: www.echoroukonline.com

[٢] حيدر محمد الكعبي، مرجع سابق. ص 9

ومن ناحية أخرى سيتراجع الطلب الداخلي في الدول العربية على "التصالح" مع الجماعة في إطار عملية سياسية إدماجية، وسيربح الصقور في أنظمة الحكم العربية الرافضين لحوار كهذا. وأخيرا ستنسحب خسارة "الإخوان المسلمين" على حليفاتها في قطر وتركيا، لأن مساعيهما لإعادة الجماعة إلى المشهد الإقليمي في إطار التسليم بموازين القوى الجديدة، ستتعرض لانتكاسة قوية .

كما ينطبق نفس التصور على المملكة العربية السعودية لوجود علاقة فكرية بين الوهابية من ناحية "القاعدة" و "داعش" ومن على شاكلتها من تنظيمات من ناحية أخرى تبدو صعبة الإخفاء وتجعل السعودية هدفا إعلاميا سهلا لخصومها. ومثلما بذلت السعودية جهودا ضخمة بعد أحداث سبتمبر 2011 في حملات الدبلوماسية العامة للحفاظ على تحالفها الدولي مع أمريكا. فالأغلب أنها ستظطر إلى القيام بخطوات مماثلة في أعقاب عملية "شارلي ايبدو" الارهابية، مع الفارق أن المملكة ليست في أفضل أحوالها حاليا، مع انتقال السلطة بعد وفاة الملك عبد الله إلى الملك سلمان ومواجهة تحديات حقيقية للإصلاح وخاصة معالجة قضايا حقوق الإنسان وضخ المزيد من الحريات، وبعد دور حيوي في السياسة الخارجية للحفاظ على مكانة الإسلام المعتدل وتحقيق التوازنات الاستراتيجية في المنطقة، وتبني مواقف واضحة من المد الشيعي والدور الإيراني في المنطقة سواء في سوريا والعراق واليمن مع صعود الحوثيين إلى السلطة ودخول البلد مرحلة الفراغ السياسي.[1]

كما أنه على دول الخليج بعد هذا الحادث الإرهابي مراجعة مواقفها من مجموعة من القضايا وتكييفها مع تغيير المواقف الغربية والأمريكية من إشكالية الأمن في المنطقة، ومن أبرز التحديات المطروحة على دول الخليج هو إعادة النظر في مواقفها في السياسة الخارجية ، وإجراء التعديلات الكافية لجعل منظمة

[1] عصام لعروسي، «عملية شارلي ايبدو قراءة في الابعاد والتداعيات الجيوسياسية»، المركز الدبلوماسي، 2015/03/04. ص7

التعاون الخليجي النموذج الأمثل للتنسيق بين الدول الخليجية وضمان الأمن الشامل لشعوب المنطقة الأمر الذي يتطلب مراعاة عدد من الاعتبارات:

- رغم الخلاف الغربي الإيراني حول الملف النووي، يبدو أن هناك تفاهما أمريكيا إيرانيا يهدف إلى تقسيم الوطن العربي إلى أقليات دينية مشكلة من الشيعة، السنة، الدروز، الموارنة وغيرهم من الإثنيات والطوائف كما هو الشأن بالنسبة للعراق، اليمن، سوريا، البحرين وأزمة الطائفية في لبنان والسودان ومشكل الأمازيغية في المغرب العربي.
- إن الاكتساح الملحوظ لقوات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام منذ الإعلان عن دولة الخلافة واحتلال جزء من شرق سوريا وغرب العراق، لا يهدد فقط استقرار العراق وكردستان شبه المستقلة والأقليات الدينية، ولكنه يهدد استقرار منطقة الخليج والمنطقة العربية بشكل عام. بينما تدعي قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة شحذ كل الإمكانيات اللوجيستية والبشرية لمواجهة الجماعات الإسلامية المتطرفة في المنطقة.

ومنه فإنه وحسب بعض الاستراتيجيين الغربيين ، فان الهجوم الإرهابي في فرنسا يستوجب فرض حل عاجل في سوريا واليمن والعراق إذ تحولت المنطقة إلى حاضنة للقاعدة وداعش وخاصة بعد إعلان قيادتها في اليمن عن مسؤوليتها عن عملية باريس. [1] وخاصة بعد الفشل طيلة عدة سنوات في منع انتشار الإرهاب في المنطقة ونجاح الجبهة المعارضة للتحالف في إحراز تقدم متواصل في العراق وتحريك تنظيم الدولة نحو سوريا واجتياح أراضي جديدة. إضافة لتحالف جبهة النصرة مع تنظيم القاعدة في اليمن، الذي يعتبر المجدد لفكر تنظيم القاعدة في اليمن، الذي يعتبر المجدد لفكر تنظيم القاعدة

[1] ـــ ، «التقرير العالمي 2016: الاتحاد الاوروبي أحداث 2015»، HUMAN RIGHTS WATCH . متحصل عليه: http://www.hrw.org/ar/world-report/2016/contry-chapters/285180

وخاصة بعد الجمود والانتكاسة التي عرفها التنظيم منذ 2009 مع موت أو اختفاء بن لادن من المشهد الدولي.

نتيجة لمسلسل الرعب في المنطقة، يرى الخبراء أن نفقات الدفاع في الشرق الأوسط ودول الخليج مرشحة للارتفاع لتصل إلى 960 مليار دولار بين عامي 2014 و 2020 إن الجرد الأول للتداعيات الجيوسياسية لحادث شارلي إيبدو، يكشف عن مجموعة من المؤشرات العملية التي تصب في اتجاه إحداث التغيير سواء بالقوة العسكرية ومقومات الهيمنة والرغبة في مواجهة الإرهاب من خلال توصيف عدو مشترك هو الحركات الإسلامية المتطرفة وبذل مجهودات لتمرير تشريعات وسياسات غربية الهدف منها هو بلقنة المنطقة العربية، وتغيير معالمها الجغرافية والوصول إلى الأهداف الإستراتيجية المأمولة في حين تستفيد أطراف أخرى كالصين وروسيا من اللعبة الدولية وتحاولان اقتناص الفرص الاقتصادية السانحة والرفع من أسهم اقتصادياتها ومعدل نمو بلدانها.

كانت الثقافة من بين القضايا التي حازت على الاهتمام الأكاديمي في تطور العلاقات الدولية وارتباطها بمجال الصراعات خاصة المعاصرة منها. وتعتبر هذه الدراسة من بين مجموعة الدراسات التي تهتم بدراسة البعد الثقافي، الذي لطالما كان بعيدا عن التنظير الأكاديمي بل وظل على هامش الدراسات إضافة إلى كونه من المفاهيم التي تفتقر إلى الدقة، ويصعب تحديد مفهومها كما أنه كان مغيبا في حقل التنظير.

وبعد وضع هذا المفهوم في دائرة اهتمام هذه الدراسة خلصت إلى مجموعة من النتائج نوردها فيما يلي:

-أصبحت مفاهيم الهوية، الدين، الإثنية، العرقية، الثقافة، الحضارة محط اهتمام وافر في أدبيات العلاقات الدولية، وأصبح العامل الثقافي يحظى باهتمام من قبل المفكرين في الدراسات الحديثة الخاصة بحقل العلاقات الدولية، لما لهذا العامل من أثر على علاقات التعاون أو الصراع. رغم كونه ليس بالجديد إلا أنه أصبح محط اهتمام بعد الحرب الباردة في ظل بروز الحروب الداخلية، وتنامي الصراعات الاثنية والعرقية ذات الأبعاد الثقافية. وتلاشي الحدود وعدم قدرتها على تحقيق الأمن بعد تراجع مفهوم الدولة كفاعل وحيد في العلاقات الدولية، وهو ما تم الإشارة إليه في الفرضية الأولى. حيث أن معظم محللي الصراعات المعاصرة جانبوا التركيز على العوامل المادية في سبيل ظهور منظور ثقافي حضاري. يأخذ على عاتقه تفسير القضايا التي فشلت المنظورات التقليدية على تفسيرها بالتجاوب مع المعطيات الجديدة لفترة ما بعد الحرب الباردة.

-عدم الاهتمام بمكونات البعد الثقافي في مجال الصراعات يجعل من موضوعات دراسة العلاقات الدولية أكثر تعقيدا من غيرها، وحتى المنظورات السائدة في علم العلاقات الدولية في ادعائها التحرر من القيم لا يمكن الأخذ بها، لأن كل منها ينطلق من فهم مسبق لتقييم الواقع. وعدم الأخذ بمفاهيم كالهوية، الثقافة، الدين، اللغة، العقيدة ينقص من فهمنا لأسباب الصراعات المعاصرة. إن عدم الاهتمام بهذه المفاهيم سابقا فرضه طبيعة النظام الدولي السائد قبل الحرب الباردة والتي أعطت الأولوية للمتغيرات السياسية، الأمنية والإقتصادية وأدت إلى تقلص الاهتمام بالثقافة، خاصة وأن معظم المهتمين بها عانوا من إمكانية

إخضاعها للقياس المادي. ولكن عودة الاهتمام بالبعد الثقافي بعد الحرب الباردة لا ينفي بالضرورة الاهتمام بالأبعاد السابقة والاهتمام بالعلاقة بين الحضارات يجسد بروز الاهتمام وانبعاث البعد الثقافي الحضاري باعتباره مجالا تتجسد على صعيده صراعات جديدة. لكن هذا لا يلغي أهمية المصالح المادية في العلاقات بين الشعوب وهو ما يفند الفرضية الثانية.

-تؤكد الأدبيات الأكاديمية للصراعات المعاصرة صحة الفرضية الثالثة في كون أحداث شارلي إيبدو قد عكست خلفية الصراع الثقافي والحضاري في العلاقات الأوروبية العربية، حيث أن الصراعات الثقافية الحضارية ذات الخصوصية الدينية تلعب الدور البارز والحلقة الأثقل في الصراعات المعاصرة اليوم. حيث كان من المنطقي التساؤل بعد نهاية الحرب الباردة عما إذا كانت المساءل الإثنية والثقافية والدينية مهمة في الصراع بعد انتقال معظمها من المستوى الخارجي إلى المستوى الداخلي إذ تتم في شكل مواجهات عنيفة تحدث بين جماعتين أو أكثر، أو حضارتين تكون الاختلافات والفوارق بينهما في الثقافة، أو الدين، أو على مستوى الصفات الجسمانية أو اللغوية.

وختاما يمكن القول أنه في أعقاب الحرب الباردة ودخول العالم مرحلة جديدة، كانت هناك آمال بأن الأمور ستتغير للأفضل من حيث السلام والأمن البشري والتنمية للمجتمعات نتيجة موجات الحكم الديمقراطي في العالم. وخلافا لهذا فبدلا من أن تتجه المجتمعات والقوميات والإثنيات للتعايش نجد أنها تعرف تجددا في أيامنا هذه. فلا يكاد عالم اليوم يخلو من صراعات عنيفة داخل دولة واحدة بين مجموعات عرقية أو دينية، أو بين ثقافتين أو حضارتين وقد أصبحت الصراعات المعاصرة الاثنية والثقافية والدينية في السنوات الأخيرة هي الشائعة، كما أن حالات العنف الجماعي هي السبب الرئيسي في زيادة مشكلة اللاإستقرار، كما أن مختلف هذه الصراعات لا تأخذ شكلا واحدا ولهذا يصعب قياسها وإيجاد حل لها على الأقل في الوقت الحالي.

لقد جسدت أحداث باريس جانفي 2015 حقيقة الصراع الحضاري القائم بين الإسلام والغرب، هذا الصراع الذي لم ينتهي منذ الحروب الصليبية، بل إنه يظهر في كل مرة بشكل جديد والذي يخضع لطبيعة النظام السائد وكذا لتوازن القوى. وما التداعيات التي نجمت عنها إلا دليل عن حقيقة هذا الصراع هذه التداعيات التي لم تنتهي لحد اليوم، إذ لم تكد تنقضي تلك السنة حتى عرفت باريس هجمة إرهابية جديدة تعد الأعنف في تاريخ الهجمات التي عرفتها أوروبا عموما والعاصمة الفرنسية على وجه التحديد مست ست مواقع في باريس وأسفرت عن مقتل 129 شخصا.

وقياسا عليه يمكننا الخروج بالتوصيات التالية:

١. التحولات المهمة التي عرفها العالم على عدة مستويات ولدت مجموعة من الديناميات الجديدة والفاعلة في السياسة الدولية، الأمر الذي يتطلب من باحثي العلاقات الدولية القيام بمراجعة جذرية وشاملة للمنظورات التحليلية السائدة ومن هنا فالحاجة ماسة اليوم في البحث عن شبكات مفاهيمية وتحليلية جديدة قادرة على إدراك مختلف التعقيدات على المستوى الدولي.
٢. إيلاء الأهمية للأبعاد الحضارية الثقافية، ومحاولة دمج مختلف الهويات من خلال وضع قوانين تضمن الخصوصيات الثقافية لكل مجموعة. وخلق مستوى من التعايش من خلال التساوي في الحقوق والواجبات على أساس المواطنة.
٣. بعث الحوار الجاد بين مختلف الثقافات وفق أسس صحيحة من أجل ضمان الوصول إلى حد أدنى من التعايش.
٤. العمل المشترك المتبادل في إطار الحوار، وليس الإملاء وفرض الآراء من الطرف الأقوى على الطرف الأضعف.

٥. ضرورة استغلال الأعداد الهائلة للمهاجرين العرب في التعريف بحقيقة الإسلام، وذلك من خلال بتفعيل اللقاءات والمنتديات ودعم المشاريع الثقافية الكفيلة بذلك.

٦. ضرورة التزام المسلمين المتواجدين في الغرب بتعاليم الإسلام في جميع تعاملاتهم الأمر الذي من شأنه إعطاء الصورة الحقيقية عن الإسلام. فالإسلام دين التسامح والسلام لا يمكن أن يشع على العنف والإرهاب.

٧. ضرورة إشراك المجتمع المدني في عملية الحوار الأوروبي العربي إضافة إلى المؤسسات التي تعمل على إدارة هذه المشاريع.

٨. ضرورة احترام الإختلاف مع الآخرين مما يضمن الحرية للجميع بدون تطرف عنصري، وإن هذا لا يكون إلا باحترام حقوق الإنسان. حيث إن المنطقة لديها تنوع أديان وثقافات ويجب الإقتناع بحقوق الجميع في العيش بسلام.

المراجع باللغة العربية:

1/ القرآن الكريم والموسوعات:

١. القرآن الكريم، سورة الممتحنة، الآية (8،9) ،دمشق: مطبعة الثريا،1430هـ.

٢. الموسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي، ج 2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.

2/ الكتب:

١. ابن منظور، لسان العرب، ج 6، دار المعارف، [د،م،ن]، [د،ت،ن].

٢. البلاوي(حازم)، نحن و الغرب: عصر المواجهة أو التلاقي؟، القاهرة: دار الشروق، 1999.

٣. بطرس فرج الله (سمعان)، مستقبل الترتيبات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وتأثيراتها على الوطن العربي، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1998.

٤. بن نبي (مالك) ، مشكلة الثقافة، ط 15، دمشق: دار الفكر، 2011.

٥. بن نعمان(أحمد)، الهوية الوطنية الحقائق و المغالطات ، الجزائر: دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع [د،ت،ن].

٦. بولعوالي (التجاني)، المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع و تحديات المستقبل ، المغرب: افريقيا الشرق، 2010.

٧. الجرجاني(الشريف)، التعريفات، بيروت: دار عالم الكتب، 1987.

٨. الحديثي(عباس) ، نظريات السيطرة الإستراتيجية و صراع الحضارات ، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2004.

٩. حقي توفيق (سعد) ، علاقات العرب الدولية في مطلع القرن 21، عمان: دار وائل .2003.

١٠. خضر(بشارة)، أوروبا من أحل المتوسط من مؤتمر برشلونة الى قمة باريس 1995-2008، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.

١١. الدباغ(مصطفى)، الإسلام فوبيا، عقدة الخوف من الإسلام ، ط2 ، عمان: دار الفرقان للنشر، 2001.

١٢. ربيع (حامد)، الحوار العربي الأوروبي إستراتيجية التعامل مع القوى الكبرى ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1980.

١٣. الزغبي (موسى)، دراسات في الفكر الإستراتيجي و السياسي ، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001

١٤. زيادة (معن) ، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، عدد 115، 1975.

١٥. سعدي(محمد)، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.

١٦. الشلبي(جمال)، العرب وأوروبا رؤية سياسية معاصرة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000.

١٧. شفقان الضرابعة (زياد)، الإتحاد الأوروبي والقضية الفلسطينية من مدريد إلى خارطة الطريق ، عمان: دار حامد للنشر والتوزيع، 2011.

١٨. صاغور(هشام)، السياسة الخارجية للإتحاد الأوروبي تجاه دول جنوب المتوسط ، الاسكندرية: مكتبة الوفاء القانونية.2010.

١٩. صالح محمود اللهيبي (فائز)، إشكالية الخوف من الإسلام ISLAMOPHOBIA بين الرؤية الغربية والواقع الإسلامي، حلب: دار النهج، 2009.

٢٠. الصادق(العلالي) ، العلاقات الثقافية الدولية (دراسة سياسي–قانونية)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2006.

٢١. عابد الجابري (محمد)، مسألة الهوية والعروبة والإسلام ... والغرب ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995.

٢٢. العالم(محمد أمين)، الفكر العربي بين الخصوصية و الكونية ، ط 2، القاهرة: دار المستقبل العربي، 1998

٢٣. عماد (عبد الغني)، الإسلاموفوبيا بين المقاومة و الإرهاب، بيروت: الجامعة اللبنانية، [د،ت،ن].

٢٤. عبد الله العايد(حسن)، المتغيرات الدولية وسيناريوهات الثقافة العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 2004.

٢٥. عبد الناصر(جندلي)، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية و النظريات التكوينية، الجزائر: دار الخلدونية، 2007

٢٦. عبيد أبو شهيوة (مالك) ، منطلقات و آليات صدام الحضارات، بيروت: دار كاكوكس، 2001.

٢٧. عمارة (محمد)، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة و النشر، 1999.

٢٨. غارودي(روجيه)، في سبيل حوار الحضارات ، تر: عادل العوا، ط 4، لبنان: دار عويدات، 1999.

٢٩. غريفيتش(مارتن)، أوكلاهان(تيري)، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2008.

٢٩ غليون(برهان)، اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية ، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1990 .

٣٠ فون بيلوف (أندرياس)، The CIA براءة العرب والمسلمين من أحداث 11 سبتمبر ودور أجهزة المخابرات، تر: سيد حسان أحمد، الاسكندرية: منشأة المعارف، 2004.

٣١ كوكش(دوني) ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: قاسم المقداد، دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، 2002 .

٣٢ محمد اسماعيل(فضل الله)، خليفة عبد الرحمان، في الايديولوجيا و الحضارة و العولمة،[د،م،ن]،[د،د،ن] ،[د،ت،ن].

٣٣ نصر مهنا (محمد)، قضايا سياسية معاصرة، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1997.

٣٤ مفلح محافظة(علي)، العرب والعالم المعاصر، رام الله: دار الشروق، 2009.

٣٥ مرير الجميلي(صدام)، الاتحاد الاوروبي ودوره في النظام العالمي الجديد ، بيروت: دار المنهل اللبناني،2009.

٣٦ وليامز(ريموند) ، الكلمات المفاتيح، تر: نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي، 2007.

٣٧ يوسفي (آمال)، بحوث في علاقات التعاون الدولي، الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع، 2008.

3/ المجلات والدوريات:

١. ابو العنين (محمد)، «العلاقات الأوروبية الإفريقية بعد انتهاء الحرب الباردة»، السياسة الدولية، عدد 140، افريل 2000.

٢. ب. (خولة)، «حالات الاسلاموفوبيا في ارتفاع مستمر بباريس »، يومية الرائد، العدد 856، 2015/01/21.

٣. ثابت (نوال) ، « الجالية المسلمة في فرنسا..."لوبي" عملاق نائم»، جريدة الخبر ، 2015/08/14.

٤. جابلي (عيسى)، «الحوار العربي الاوربي»، يومية الدستور، الشركة الأردنية للصحافة والنشر، العدد 17540، السنة 50 ،2006/05/13.

٥. الحمارنة (علاء)، «المسلمون في أوروبا–خريطة التمييز»، تقرير إتحاد هلسنكي العالمي، مجلة دراسات استراتيجية، العدد 1، جانفي 2006.

٦. خلاف (هاني)، « نحو تطوير حقيقي للشراكة الأورومتوسطية»، السياسة الدولية ، عدد 173، 2008.

٧. الدوري (عبد العزيز) «الهوية الثقافية العربية و التحديات» مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: العدد 248، أكتوبر 1999.

٨. السيد سليم (محمد)، «الشراكة الأوروبية المتوسطية، الأبعاد الثقافية»، كراسات إستراتيجية، العدد 109، 2001.

٩. الشيخ (محمد)، «في استشكال الصلة بين مفهومي "الثقافة"و"الحضارة": مدخل مفاهيمي إلى النقاشات الدائرة اليوم حول المفهومين»، مجلة التسامح، عدد 27، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، صيف2009.

١٠. محمد عابد الجابري، «حوار الحضارات»، مجلة فكر و نقد، العدد 44،ديسمبر2001.

١١. عبد المجيد (أيمن)،«الجارية المسلمة أول المحترقين بنار حادثة شارلي ايبدو»، جريدة العرب، العدد 9792، السنة 37، 2015/01/09.

١٢. نصير عرباوي، «مستقبل الشراكة الأورومتوسطية»، الجزائر: مجلة العلوم الاجتماعية ، سبتمبر 2013.

١٣. علي سالم (أحمد)، « القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي»، لبنان: المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 20، أكتوبر 2008.

١٤. القويطي (سناء)، التايدي (مريم)، «ارهاب "التطرف" و ارهاب "الاسلاموفوبيا" »، جريدة التجديد، العدد 3561، الأحد 16- 18 جانفي 2015.

١٥. لكريني (إدريس)، «الإسلام والغرب بين نظرية الصدام وواقع الملتبس»، مجلة المستقبل العربي ، جويلية 2003، العدد 293، السنة 26.

١٦. محمد الكعبي (حيدر)، «حادثة شارلي ايبدو»، مجلة الرصد، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد 15، جانفي 2015.

١٧. المصري (خالد)،«النظرية البنائية في العلاقات الدولية»، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية و القانونية، المجلد 30، العدد 2، 2014.

١٨. مطاوع (محمد)، «أوروبا والمتوسط ... من برشلونة إلى سياسة الجوار»، السياسة الدولية، عدد 163، جانفي 1963.

4/ الدراسات غير المنشورة:

١. بللوي (يسين)، «حوار الحضارات كأحد المرتكزات الثقافية للنظام الدولي مابعد الحرب الباردة»، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2002 .

٢. بن زيوش (غالية)،«الهجرة والتعاون الاورومتوسطي منذ منتصف السبعينات»، مذكرة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2005.

٣. جدو (فؤاد)، « ثنائية الترجمة والإعلام نحو الناطقين بغير العربية، دراسة امبريقية لظاهرة الإسلاموفوبيا-المنطقة الأوروبية أنموذجا-»، الملتقى العلمي الأول للترجمة ودورها في تعزيز التواصل الثقافي، الرياض: جامعة نايف للعلوم الأمنية، 21-2015/04/23.

٤. حجار (عمار)،«السياسة الأمنية الأوربية تجاه جنوبها المتوسط»، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة 2002.

٥. عز الدين (حمايدي)، «دور التدخل الخارجي في النزاعات العرقية »، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة 2002.

٦. فيصل (سمارة)، «البعد الانساني في الشراكة الاورومغاربية من مسار برشلونة إلى غاية مشروع الاتحاد من أجل المتوسط: (1995-2008)»، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة تيزي وزو، 2013/03/06.

٧. عدنان محمد مبيضين (رشا)، «دور الارهاب في إعادة صياغة العلاقات العربية-الاوروبية (1990-2006) »، رسالة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة مؤتة، 2007.

٨. لعروسي(عصام)، «عملية شارلي ايبدو قراءة في الابعاد والتداعيات الجيوسياسية»، المركز الدبلوماسي، 2015/03/04.

٩. فاطمة لكعص، «أحداث 11 سبتمبر 2001 وانعكاساتها على المنظومة الحضارية العربية والاسلامية»، مذكرة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2008.

١٠. محمود غانم (أماني) ، «البعد الثقافي في العلاقات الدولية – دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات»، برنامج الدراسات الحضارية و حوار الثقافات – كلية الاقتصاد و العلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2007.

5/ المواقع الالكترونية:

١. أغليمو (محمد)، «حوار الثقافات ضرورة استراتيجية»، 2005/05/11. متحصل عليه:

http://arhlimou.wordpress.com

أطلع عليه في: 2016/02/15، الساعة:10:12

٢. برقوق (محند)، اليسار سيستخدم حادثة "شارلي ايبدو" كما استخدم بوش أحداث 11 سبتمبر، يومية النصر، 2015/01/21.متحصل عليه: http://www.annasronline.com/index.php

أطلع عليه في: 2012/01/09، الساعة: 23:18

٣. خالدي (عادل)، «تباين ردود الأفعال العربية و الدولية اثر الهجوم على صحيفة شارلي إيبدو»، الوطن ميديا، 2015/01/07. متحصل عليه :

www.elwatanmedia.com

أطلع عليه في: 2016/04/03، الساعة: 11:32

٤. زكريا الباسوسي (أحمد)، «الوجه الأخر لـ "تشارلي إيبدو": التوظيف السياسي للأحداث الإرهابية في فرنسا »، السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، فيفري 2015. متحصل عليه :

www.siyassa.org.eg

أطلع عليه في: 2016/04/03، الساعة: 12:03

٥. عابد الجابري (محمد) ، «لكي لا يبقى شعار حوار الحضارات مفهوما ملتبسا!»، متحصل عليه:

http://www.aljabriabed.net/maj-dialogalogcivil.htm

أطلع عليه في: 2016/03/23، الساعة: 12:23

٦. عبد اللطيف (عماد) ، «استراتجيات التعايش و كفاءة الحوار بين العرب و الغرب»، متحصل عليه:

http://www.tafahom.com/index.php/nums/view/3/65

أطلع عليه في: 2016/03/21، الساعة: 22:14

٧. علو (عماد)، «جدلية الصراع و الحوار بين الإسلام و الغرب»، جريدة الزمان، 2014/01/07. متحصل عليه:

www.azzaman.com

أطلع عليه في: 2015/02/17، الساعة: 21:27

٨. علي (محمود)، هدير محمود، « "تفجيرات باريس" .. استغلال امريكي وغزو غربي وتحريض ضد المسلمين واللاجئين»، 2015/11/17، يومية البديل. متحصل عليه:

www.elbadil.com

أطلع عليه في: 2016/01/08 الساعة: 22:14

٩. زكي الميلاد. http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2009/6/27

أطلع عليه في: 2016/12/22، الساعة: 23:12

١٠. نور (وائل)، «لهيب الارهاب من تونس إلى باريس...مأساة المهاجرين–انتفاضة السكاكين و "نكبة" روسيا»، الشروق أونلاين، 2015/12/31. متحصل عليه:

www.echoroukonline.com

أطلع عليه في: 2015/01/14، الساعة: 20:41

١١. نور الدين (ساطع)، «مابعد شارلي إيبدو: "مسلمو أوروبا"بمواجهة اليمين المتطرف »، جريدة المدن ، 2015/01/12. متحصل عليه :

www.almodon.com

أطلع عليه في: 2016/04/25، الساعة: 21:52

١٢. ـــــ ، «بعد هجوم شارلي ايبدو: الدول الأوروبية تنشر بيانا مشتركا حول "فيزا شنغن"»، البلاد، 2015/01/11. متحصل عليه

www.elbilad.net

أطلع عليه: 2016/04/15، الساعة: 00:16

١٣. ـــــ ، «مجزرة شارلي إيبدو : المسلمون هم الضحية الاولى »، القدس العربي، 2015/01/08 . متحصل عليه:

www.alquds.co.uk

أطلع عليه:2016/04/14، الساعة: 00:25

١٤. التعاون الاورومتوسطي في مجال الثقافة. موقع الاتحاد الاوروبي.

http://www.enpi-info.eu/mainmed.php?id_type=3&id=458

١٥. مركز برق للأبحاث و تقنية المعلومات، «(رسائل عبر الجثث) أحداث شارلي ايبدو»، متحصل عليه:

Bark-rs.com

5/ التقارير:

١. موقع الأمم المتحدة على الشبكة الدولية للمعلومات.

http://www.unesco.org/dialogue/en/566.pdf

٢. تقرير المنضمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة (إيسيسكو) 2008 متحصل عليه:

www.isesco.org.ma/english/dialogue/dialogue%20paper%20english%20 2007.pdf

٣. التعاون الأورومتوسطي في مجال الثقافة»، تقرير صادر عن المديرية العامة للجنة التعاون الدولي والتنمية، المفوضية الأوروبية. متحصل عليه:

http://www.Ec.europa.eu

٤. «حوار الشعوب والثقافات في الفضاء الأورومتوسطي »، تقرير مجموعة الحكماء، المفوضية الأوروبية، 2003.

٥. «التقرير العالمي 2016: الاتحاد الاوروبي أحداث 2015»، HUMAN RIGHTS WATCH . متحصل عليه:

http://www.hrw.org/ar/world-report/2016/contry-chapters/285180

المراجع الأجنبية:

1/ Books:

1. Cynthia Weber, International Relations Theory Acritical introduction , second edition, London: Routledg Taylor & Francis Group, 2005.

2. Ellis Gllis, Gauging the Magnitud of Civilization Conflict,
3. Marco Martiniello, Sortir des chettos cultuels, Paris: presses de la fondation des Sciences Politiques. 1997.
4. Steven Salaita, Anti Arab Racism in the USA, Where It Comes from and What It Means for Politics Today, London: Pluto Press, 2006.
5. Thiery Meyssan, 11 septembre 2001 L'effroyable imposture, Paris: éditions Carnot, 2002.

2/ Articals:

1. Ouria Sheherazade Kahil, rapport sur l'islamophobie en France: collective contre l'islamophobie, 2008. P 4
www.islamophobie.net
2. Relais Culture Europe, «The place of culture in the European Union´s external relations », scene ouverte, Mrseilles, 2008.
3. «CULTURR AND THE EXTERNAL RELATIOS AND POLICIS OF THE EUROPIAN UNION»

https://static1.squarespace.com

4. Samuel Huntington, «Quelques vérités sur la guerre en Tchetchénie», le Monde, 25/12/1999.
5. ——— «Comment s´est deroulée l´attaque contre "Charlie Hebdo" » , 08/01/2015, web link:

www.lemond.fr

الملخـــــص:

بانتهاء الحرب الباردة تراجعت الاعتبارات والعوامل الايديولوجية والأمنية التي كانت تبدو حاسمة في تقرير مصائر الأمم وعلاقاتها، وتزايد الاهتمام والتركيز على العوامل الثقافية كقوة مؤثرة ودافعة في الشؤون الدولية . هذا التغير الذي طرأ على المفاهيم السائدة بعد الحرب الباردة، استلزم ضرورة إيجاد أطر جديدة لتفسيرها حيث أنه لم يعد بإمكان الأطر السابقة تفسير وتحليل ما يحدث على الساحة الدولية. وهو ما أدى إلى بروز طروحات من أمثال البنائية نهاية التاريخ، صدام الحضارات وحوار الحضارات. هذه المفاهيم أثرت على العلاقة بين الدول.

وتعد منطقة المتوسط نقطة التقاء مختلف الحضارات ومعبر لجميع القارات ومهد للعديد من الصراعات بسبب تعدد الثقافات وقد أثرت هذه العوامل على العلاقات الأوروبية العربية. إذ شهدت تأرجحا ما بين الصراع والتعاون ، إلا أن سمة الصراع كانت هي السائدة في أغلب الأحيان. ومما لا شك فيه أن الصراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية قد أخذ عدة أشكال هوياتي، ديني، ثقافي، حضاري في إطار "نحن" و "هم". إلا أن فداحة الخسائر الناجمة عن هذا الصراع استوجبت ضرورة خلق قنوات للتعاون والتحاور في إطار ثقافي وإن كان ذو أساس مصلحي. من أجل خلق حيز من التفاهم والتعايش في إطار الحد الأدنى من الأمن والسلم.

Summary

The end of the Cold War, ideological and security considerations and the factors that seemed decisive in the destiny of nations and relations report , and the growing interest in and focus on cultural factors as an influential force and driving force in international affairs fell . This change in perceptions after the Cold War , has necessitated the need to find new frameworks to explain where it is no longer the previous frames can interpret and analyze what is happening on the international scene. Which led to the emergence of the proposals from the likes of constructivist end of history , the clash of civilizations and the dialogue of civilizations. These concepts have affected the relationship between the countries.

The average area of confluence of different civilizations and crossing all the continents and the birthplace of many conflicts because of the multiplicity of cultures have these factors affected the Euro-Arab relations. It has seen swings between conflict and cooperation, but the conflict was the dominant feature in most cases. There is no doubt that the conflict between Western civilization and Islamic civilization has taken several forms Identities, religious, cultural, civilization in the context of "us" and "them." However, the enormity of the losses caused by this conflict necessitated the need to create channels of cooperation and dialogue in the cultural framework albeit with repairers basis. In order to create a space of understanding and coexistence in minimum security and peace framework.